



الأدب العربي وتاريخه

العصر الجاهلي
وعصر صدور الإسلام والعصر الأموي
للسنة الأولى الثانوية

ح جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٦هـ —
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.
الإدارة العامة لتطوير الخطط والمناهج بالجامعة.
الأدب العربي وتاريخه للسنة الأولى الثانوية في المعاهد العلمية. / الإدارة
العامة لتطوير الخطط والمناهج بالجامعة.. الرياض، ١٤٢٦هـ —
(١٦١) ص ٢١٠.٥ × ٢٧ سم.
ردمك : ٣-٥٣٢-٠٤-٩٩٦٠
١- الأدب العربي - تاريخ - كتب دراسية. أ- العنوان.
ديوي ٨١٠.٩٠٠٧١٢ ١٤٢٦/٥٣٣

رقم الإيداع: ١٤٢٦/٥٣٣
ردمك: ٣-٥٣٢-٠٤-٩٩٦٠

للتواصل مع الإدارة العامة لتطوير الخطط والمناهج
هاتف: ٠١١٢٥٨٢٢٢٢ ، فاكس: ٠١١٢٥٩٠٢٤٩
بريد إلكتروني (mnaaj@imamu.edu.sa)
أو من خلال بوابة الجامعة الإلكترونية (www.imamu.edu.sa)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله ﷺ أما بعد :

فإن الأدب العربي - شعره ونثره - من الفنون التي يجمل بطالب العلم الإمام بها، والتزود بقدر مناسب منها؛ وذلك لما للأدب من أثر بالغ على ثقافة المتعلم وأسلوبه في نقل ما يحمله من فكر وعلم مقروء أو مسموع.

وأدب كل أمة يعبر عن حضارتها وثقافتها وقضاياها ويصور حياتها بما فيها من أفراح وأتراح، وآلام وآمال.

ونحن نقدم هنا هذا الكتاب لطلاب السنة الأولى الثانوية في المعاهد العلمية. نعرض فيه بعضاً من الصور الأدبية الراقية الجميلة، مما أنتجته الثقافة العربية قبل الإسلام وبعده؛ لنرى مدى التحول والرقى في الأدب بعد مبعث النبي ﷺ ورسالته الخالدة، ومدى الأثر الذي أحدثه القرآن الكريم والحديث الشريف في الأدب.

ومما تهدف إليه دراسة الأدب العربي وتاريخه في هذه المرحلة ما يلي:

- ١- إطلاع الطلاب على عيون الأدب العربي، وغرره ومحاسنه وأشهر أعلامه.
- ٢- تعرفهم على تراث أمتهم الإسلامية وكنوز ثقافتهم وما لأمتهم من علم ومعرفة وحضارة.
- ٣- وضع مقدار مناسب من النصوص البليغة بين أيدي الطلاب ليتذوقوا الأدب ويتمرسوا بأساليبه، ويتمرنوا على الإجابة في نواحي القول وشعب البيان.
- ٤- الاهتمام بدراسة أثر القرآن الكريم والحديث الشريف في اللغة والأدب مع بيان نواحي الإعجاز فيهما، وكذا خطب النبي ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم.
- ٥- تحبيب اللغة الفصحى إلى الطالب بما فيها من شعر ونثر لكي يدرك جمالها ويعتز بها ويدافع عنها.
- ٦- تنمية ملكة التذوق الأدبي للنصوص الأدبية.

٧- توظيف الأدب ليكون أدب نفس فيحقق الانتماء الإسلامي الأصيل، ويساهم في التربية النفسية والاجتماعية، وتهذيب الأخلاق، وتزكية النوازع الخيرة من خلال النصوص الأدبية الجيدة.

ولتنفيذ الأهداف السابقة بالصورة المطلوبة يحسن بالمدرس مراعاة ما يلي:

١- العناية بالنقد الأدبي لكل نص يدرس، ولكل موقف أدبي وذلك باستخدام المقاييس النقدية والبلاغية التي درسها الطالب في منهج البلاغة؛ للاستفادة من تلك القواعد والمصطلحات وترسيخها في الذهن عن طريق النصوص.

٢- النقد الخلفي والتربوي للنصوص والمواقف الأدبية عندما تدعو الحاجة إلى ذلك.

٣- إشراك الطلاب في الشرح والاستنباط، والتقليل من طريقة الإلقاء والسرود للمعلومات.

٤- العناية بالشرح اللغوي للكلمات، وبيان ما غمض من المعاني.

وأخيراً فإن الإدارة العامة لتطوير الخطط والمناهج تسعد بتلقي ملحوظات الإخوة المدرسين واقتراحاتهم حول هذا الكتاب وغيره؛ وذلك سعياً للارتقاء بمناهج المعاهد العلمية وكتبها لتحقيق رسالتها السامية بإذن الله.

وفق الله الجميع لما يحب ويرضاه. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الإدارة العامة لتطوير الخطط والمناهج



توزيع المقرر للفصل الدراسي الأول

ملحوظات	الموضوعات	الأسبوع وتاريخه
واجب منزلي	توجيهات عامة وخاصة بالمادة، وتعريف الأدب.	الأول من / / ١٤هـ
	أقسام الأدب (الشعر وأنواعه، النثر وأنواعه).	الثاني من / / ١٤هـ
	- قراءة قصيدة ذو الأصبع العداوني وتوضيحها، حفظ خمسة أبيات منها - الغرض من دراسة الأدب، العصور الأدبية. - قراءة خطبة قس بن ساعدة في سوق عكاظ وتوضيحها. (حفظ الخطبة)	الثالث من / / ١٤هـ
	- العصر الجاهلي (الحياة الاجتماعية والسياسية والعقلية). - قراءة قصيدة المتقب العبيدي (لا تقولن) وتوضيحها. (حفظ خمسة أبيات منها)	الرابع من / / ١٤هـ
واجب منزلي	- أيام العرب (يوم ذي قار، يوم خزازي). - قراءة أبيات الأعشى في يوم ذي قار وتوضيحها. (حفظ الأبيات)	الخامس من / / ١٤هـ
	الشعر الجاهلي (نشأته، وروايته، أغراضه).	السادس من / / ١٤هـ
	خصائص الشعر الجاهلي، المعلقة.	السابع من / / ١٤هـ
واجب منزلي	اختبار منتصف الفصل الدراسي الأول.	الثامن من / / ١٤هـ
	- امرؤ القيس (حياته وشعره وأغراض شعره). - قراءة قصيدة امرئ القيس (وليل كموج البحر) وتوضيحها (حفظ خمسة أبيات منها).	التاسع من / / ١٤هـ
	- النابعة الذبياني (حياته وشعره وأغراض شعره). - قراءة قصيدة النابعة (كليتي لهم) وتوضيحها. (حفظ خمسة أبيات منها)	العاشر من / / ١٤هـ
	- زهير بن أبي سلمى (حياته وشعره وأغراض شعره). - قراءة قصيدة زهير (سئمت تكاليف الحياة) وتوضيحها. (حفظ خمسة أبيات منها).	الحادي عشر من / / ١٤هـ
واجب منزلي	- النثر الجاهلي (الخطابة). - قراءة خطبة أكتثم بن صيفي أمام كسرى وتوضيحها. (حفظ خمسة أسطر منها)	الثاني عشر من / / ١٤هـ
	الأمثال. (حفظ سبعة أمثال).	الثالث عشر من / / ١٤هـ
	مراجعة ما حفظ من الشعر والنثر	الرابع عشر من / / ١٤هـ
	مراجعة عامة	الخامس عشر من / / ١٤هـ

تعريف الأدب

تعارف كثير من الأدباء والنقاد على تعريف (الأدب) بما يلي:

(مأثور الشعر الجميل، والنثر البليغ، المؤثر في النفس، المثير للعواطف).

فالتأثير شرط في الأدب، أما الشعر والنثر اللذان لا يثيران العواطف كالمنظومات التي تسهل حفظ العلوم، والكتب التي ألّفت في العلوم المختلفة، فهذه لا تسمى أدباً. وقد استقر هذا المدلول لكلمة "أدب" طوال العصور التي تلت العصر العباسي إلى يومنا هذا. ولكننا إذا أردنا أن نعرف الأدب من خلال النظرة الإسلامية فإننا نقول: الأدب كل شعر أو نثر يؤثر في النفس ويهذب الخلق ويدعو إلى الفضيلة ويبعد عن الرذيلة بأسلوب جميل.

أقسام الأدب

ينقسم الأدب إلى فنين كبيرين هما:

(ب) فن النثر

(أ) فن الشعر

(أ) الشعر

يعد الشعر الفن الأشهر من فنون الأدب، والأكثر رواجاً وإمتاعاً للنفس، وشهرته وتأثيره في النفوس على مرّ العصور أوضح وأبين من غيره؛ ولذلك فعندما يذكر الأدب فإن الشعر أول ما يتبادر إلى الذهن لقوة دلالاته عليه.

والشعر ثلاثة أنواع هي:

١ - الشعر القصصي:

الشعر القصصي أو الملحمي: قصائد طويلة تحكي قصص أبطال عملوا أعمالاً عظيمة وجبارة، أو أعمالاً خارقة للعادة.

وقد عُرفت الملاحم في أول أمرها عند اليونان، وأشهر ملاحمهم: ملحمة "الإلياذة"، وملحمة "الأوديسة" وقد صنعهما شاعر اسمه هوميروس^(١)، ويوجد الشعر الملحمي في معظم الآداب العالمية بما فيها الأدب العربي إلا أنه لا توجد فيه الملحمة بمعناها الأسطوري الخرافي الوثني حيث تتعدد الآلهة كما في "الإلياذة والأوديسة". وإنما وجدت القصائد التي تصور المعارك والبطولات فيما عرف بشعر الحماسة، من العصر الجاهلي إلى شعر الفتوحات إلى معارك المسلمين مع الروم وإلى عصرنا الحاضر.

(١) شاعر يوناني عاش في القرن الثامن قبل الميلاد.

٢ - الشعر التمثيلي:

شعر يصنع للتمثيل على المسرح. فهو يختلف عن الشعر القصصي الطويل، فالقصيدة في الشعر المسرحي محدودة الطول؛ لأنه سيمثلها أشخاص وينظر إليها الجمهور في وقت محدود. وهذا النوع من الشعر أول ما عرف عند اليونان، ثم عرفه الرومان، أما العرب فلم يعرفوه إلا في العصر الحديث عندما ألف أحمد شوقي^(١) (مصرع كليوباترة) و (مجنون ليلي).

٣ - الشعر الغنائي أو الوجداني:

الشعر الغنائي: هو الذي يتحدث فيه الشاعر عما يحس به من خواطر، وينقل ما يجيش في نفسه من مشاعر. ويصاغ في قصيدة متوسطة الطول، وهو صالح للغناء في معظمه، وأكثر الشعر العربي من الشعر الغنائي وهو يشتمل على أغراض كثيرة منها: الحماسة، المدح، الرثاء، الهجاء، الوصف، الغزل.

(١) شاعر عربي مصري لقب بأمير الشعراء. توفي سنة (١٣٥١هـ - ١٩٣٢م).

(ب) النشر

عندما ذكرنا بأن الشعر هو أشهر قسمي الأدب وأشهرهما فلا يعني ذلك التقليل من شأن النشر، بل إنه في بعض الأحيان أقوى تأثيراً؛ وذلك عندما تكون الحاجة إليه أمسّ من الحاجة إلى الشعر.

ويشتمل النشر على أنواع كثيرة منها: الخطب والرسائل والأمثال والحكم والوصايا والمقامات والقصص، والمسرحيات.

أنواع النشر

١ - الخطابة:

الخطابة نوع من النشر الفني الذي يؤثر في النفس ويثير العواطف عن طريق طرح الأفكار المقنعة المقرونة بالحجج والبراهين، ويكون ذلك بأسلوب مؤثر في المستمع بحسب ما يقتضيه المقام.

٢ - الرسائل:

برزت الرسائل الفنية في آخر العصر الأموي. أما قبل ذلك فالرسالة امتداد للكلام الاعتيادي؛ فهي خالية من التكلف، سهلة العبارة، خالية من عبارات التفخيم، تنصب على الغرض الذي أنشئت من أجله، أما الرسالة الفنية فهي التي يعتني كاتبها باختيار ألفاظها ومعانيها والأساليب البلاغية المناسبة لها.

٣ - الأمثال:

الأمثال أقوال يتناقلها الناس؛ وهي سائرة بينهم، ويقصد بها تشبيه حال من قيلت فيه بحال من أنشئ المثل من أجله.

والفن يبرز في الأمثال؛ لأنها خفيفة الظل تمزج الهزل بالجد وتشير إلى ما تريد بطرف خفي؛ فتعالج كثيراً من الأمور بكلام مختصر يصل إلى أعماق النفس، والمثل يوجد في الشعر ولكن وجوده في النثر أكثر من وجوده في الشعر.

٤ - الحكم:

الحكم أقوال مأثورة موجزة مؤثرة، تشتمل على رأي سديد أو حكم صائب، أو تجربة إنسانية، وتصدر الحكم عن أصحاب الرأي السديد الذين جربوا الحياة وخبروها.

٥ - الوصية:

الوصية قول يراد به الترغيب في الخير والابتعاد عن الشر، ويسعى قائل الوصية إلى تجوئدها لتؤثر في من ينتفع بها، وهي تقال غالباً في مواقف الفراق، كإحساس بقرب الموت حيث يوصي الأب أبناءه، أو مفارقة قريب من أجل سفر أو غيره.

٦ - المقامة:

المقامة قصة قصيرة تمثل أحداثاً وقعت لشخص أو أشخاص، وتؤدَّى المقامة بأسلوب أنيق يغلب عليه السجع القصير، وتشتمل المقامة على طرفة تريح النفوس أو موعظة ترقق القلوب، وتتخللها النوادر والفكاهات والمواقف المضحكة، وتهدف إلى نقد الأشخاص أو المجتمع. وقد ظهرت المقامات في العصر العباسي ولم تعرف قبل ذلك، وأشهر كتّاب المقامة بدیع الزمان الهمداني^(١) والحريري^(٢).

٧ - القصة:

القصة أحداث مثيرة تصور نمطاً من الحياة أو أحداثاً معينة يشترك فيها الخيال. وتصاغ بأسلوب مشوق يستهوي القارئ والمستمع، بحيث يبرز فيه سرد الأحداث المثيرة وتشابك فيه الأزمان وتتسلسل فيه الأفكار، وكلما كانت حبكة القصة قوية ومتماسكة كان تأثيرها في

(١) هو أحمد بن الحسين ولد بهمدان وتنقل بين مدن بلاد فارس ثم أقام بهراة ومها توفي سنة ٣٩٨هـ.

(٢) هو أبو محمد القاسم بن علي البصري ولد سنة ٤٤٦هـ وتوفي في البصرة سنة ٥١٦هـ.

القارئ والمستمع أعمق وأظهر.

والقصة إذا كانت طويلة تسمى رواية، وإذا كانت قصيرة تسمى قصة قصيرة، وإذا كانت قصيرة جداً سميت أقصوصة.

٨ - المسرحية:

المسرحية فن أدبي يعرض حادثة أو مجموعة حوادث بواسطة ممثلين يقومون بأدوارهم على خشبة المسرح أو يتخذون الحوار أساساً لعملهم، وهم يحاكون بعملهم هذا الحياة الحقيقية في بعض صورها.

والمسرحية إما أن تحكي حادثة مفاجئة مؤلمة فتسمى (مأساة) أو تحكي حادثة مضحكة فتسمى (ملهاة).

الغرض من دراسة الأدب

- ١ - تهذيب الأخلاق وترقيق العواطف.
 - ٢ - الاتصال بالثقافة العامة بجميع أنواعها بما فيها الثقافة الأدبية، والوقوف على القضايا الاجتماعية والفكرية للمجتمع، ثم الإسهام في معالجتها وتوجيهها الوجهة الصحيحة.
 - ٣ - نقل التجارب الإنسانية إلى الآخرين، واكتساب الخبرات والمعارف عن طريق قراءة كتب الأدب بقسميها: الشعر والنثر.
 - ٤ - التعليم عن طريق المتعة كما في الروايات والمسرحيات.
 - ٥ - معرفة النفس الإنسانية ودواخلها وكوامنها من خلال الأدب الذي تنفثه على لسان صاحبها، شعراً كان أو نثراً.
 - ٦ - الدعوة إلى الله:
- اعتمدت الدعوة الإسلامية في أول أمرها على الخطابة، فعندما نزلت الآية الآمرة بالجهار بالدعوة جمع النبي ﷺ قريشاً وخطب فيهم، ثم توالى خطبه ﷺ، وكانت الخطابة على امتداد التاريخ الإسلامي عماد الدعوة إلى الله، والشعر كان له دور في الدعوة إلى الله في زمن النبي ﷺ؛ فحسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك رضي الله عنهم دعوا إلى الإسلام قبل فتح مكة وردوا على المشركين.
- والأديب اللبيب هو الذي يعرف كيف يدعو إلى الله وكيف يصل إلى أعماق النفس الإنسانية، وبذلك يكون أقدر من غيره عندما يدعو إلى الإسلام.
- ٧ - الترويح عن النفس.

العصور الأدبية

ينقسم تاريخ الأدب العربي إلى عصور هي:

- ١ - العصر الجاهلي: يتدأ هذا العصر مع أول شعر وصلتنا روايته ويقدر ذلك بـ ٢٠٠ سنة قبل الإسلام وينتهي بظهور الإسلام، وتأثيره في الأدب.
- ٢ - عصر صدر الإسلام: بداية هذا العصر هو ظهور الإسلام وتأثيره في الأدب، ونهايته هي نهاية حكم الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم سنة ٤١ هـ.
- ٣ - العصر الأموي: يبدأ سنة ٤١ هـ عندما انتقلت الخلافة إلى معاوية رضي الله عنه، وينتهي سنة ١٣٢ هـ عندما سقطت الدولة الأموية.
- ٤ - العصر العباسي: يبدأ بقيام الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ، وينتهي بسقوطها سنة ٦٥٦ هـ.
- ٥ - عصر الدول المتتابعة: يبدأ هذا العصر باستيلاء التتار^(١) على بغداد سنة ٦٥٦ هـ، وينتهي بتأثير الحضارة الأوروبية في الأدب العربي وذلك بداية القرن الثالث عشر الهجري. ويشمل هذا العصر حكم التتار لشرقي البلاد الإسلامية وحكم المماليك لمصر، وحكم الأتراك العثمانيين للبلاد الإسلامية.
- ٦ - العصر الحديث: يتدأ هذا العصر بقيام الحركات الإصلاحية في بعض البلاد العربية كحركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في شبه الجزيرة العربية - في منتصف القرن الثاني عشر الهجري - كما يعد التأثير الأوربي (سلباً أو إيجاباً) - في بداية القرن الثالث عشر الهجري - ذا أثر بَيِّن في بعض البلاد العربية كما هو الحال في سوريا ولبنان ومصر. ويمتد هذا العصر إلى أيامنا هذه.

(١) خليط من شعوب وسط آسيا وشمالها فيهم المغول والأتراك وغيرهم ولهم الآن جمهورية في الاتحاد السوفيتي تعرف باسمهم وسكانها خمسة ملايين.

مناقشة

- ١- عرف الأدب.
- ٢- اذكر أنواع الشعر، وعرفها.
- ٣- اذكر أنواع النثر إجمالاً.
- ٤- تحدث بإيجاز عن أربعة من أغراض دراسة الأدب.
- ٥- يُقسم تاريخ الأدب إلى عدة عصور. اذكرها محدداً بداية كل عصر ونهايته.

العصر الجاهلي

لمحة عن حياة العرب في العصر الجاهلي.

(أ) الحياة الاجتماعية:

ينقسم المجتمع العربي في العصر الجاهلي إلى قسمين: بدو وحضر، فالبدو يسكنون الصحاري، والحضر يسكنون القرى والمدن.

فبلاد اليمن عرفت الحضارة والتمدن، ومكة في تهامة مدينة تجارية، ويثرب التي هي المدينة المنورة مدينة تعتمد على الزراعة، وحَجْر في اليمامة مدينة تعتمد على الزراعة والتجارة، وهَجْر التي هي الأحساء مدينة تعتمد على الزراعة.

وقد قامت للعرب تجمعات حضارية في العراق والشام، ففي العراق قامت دولة المناذرة، وفي الشام دولة الغساسنة، ومعيشة العرب تخضع لنوع الحياة التي يعيشونها، ففي المدن حياة فيها نوع من الترف حيث تتوافر الحبوب والزيت والملابس والفرش وهذا النابغة الذي يصور جانباً من حياة عليّة القوم في جَلَق حيث يقول:

رَقَاقُ النَّعَالِ طَيِّبٌ حُجْرَاتُهُمْ	يُحَيَّوْنَ بِالرَّيْحَانِ يَوْمَ السَّبَّاسِ ^(١)
تُحَيِّيهِمْ بَيْضُ الْوَلَائِدِ بَيْنَهُمْ	وَأَكْسِيَةُ الْإِضْرِيحِ فَوْقَ الْمَشَاجِبِ ^(٢)
يَصُونُونَ أَجْسَاداً قَدِيماً نَعِيمُهَا	بَخَالِصَةِ الْأُرْدَانِ خُضِرِ الْمَنَاقِبِ ^(٣)

وفي القرى يقتات الناس على التمر والحبوب واللحوم وهي قليلة. وفي البادية يعيشون على ألبان الإبل والضأن. ويعتمد البعض على الصيد بالإضافة إلى الحبوب، والحياة في البادية فيها

(١) رقاق النعال: أي نعالهم ليست غليظة. طيب حجازهم: كناية عن إعفاء الفروج. الريحان: كل نبات طيب الرائحة. يوم السباسب: يوم عيد لهم.

(٢) الولائد: جمع وليدة وهي الأمة الشابة: الإضریح: الخز الأحمر. المشاجب: أعواد تعلق عليها الثياب.

(٣) خالصة الأردن: خضر المناكب: نوع من الثياب. والأردان: الأكمام وهي خالصة من نوع واحد أما مناكبها فهي خضر. والأبيات في ديوان النابغة ص ٤٧.

مشقة، والحصول على القوات في سنوات الجذب ليس سهلاً، ومن هنا كان للكرم دور فعال وأصبح من الصفات التي تنهض بصاحبها وتسمو به على مرتبة الشرف.

والعرب لهم مثل عليا يعتمدون عليها في تنظيم حياتهم، وفي علاقاتهم مع بعضهم؛ فمن تلك المثل: حفظ حق الجار سواء كان لاجئاً أو جاراً عادياً، ومنها الوفاء بالعهد، ومنها نجدة المستنجد، وحماية الضعيف، والعفو عند المقدرة، والأنف، وإباء الضيم، وإذا أحل واحد منهم بصفة طيبة تعارفوا عليها فإنهم يعلنون ذلك على الملأ في الأسواق العامة بل يرفعون لواء في سوق عكاظ أو غيره علامة على التشهير به. ولذلك فإن الحادرة الذباني يعتز بأنه لم يُرفع لواء لأحد من قبيلته وذلك في قوله:

أَسْمَيَّ وَيْحَكَ هَلْ سَمِعْتَ بَغْدَرَةَ رُفِعَ اللِّوَاءُ لَنَا بِهَا فِي مَجْمَعٍ^(١)

وبجانب هذه المثل توجد عادات سيئة منها: شرب الخمر، ولعب القمار، يقول طرفة^(٢):

وما زالَ تَشْرَابِي الخُمُورَ وَلَذَّتِي وَبِيعِي وَإِنْفَاقِي طَرِيفِي وَمُثْلَدِي^(٣)

إلى أن تحامنتي العشيرةُ كُلُّهَا وَأَفْرَدَتِ إِفْرَادَ البَعِيرِ الْمُعَبَّدِ^(٤)

ومن عاداتهم السيئة: وأد البنات خوف الفقر أو خوف العار إلى غير ذلك من العادات السيئة التي أثرت عنهم.

(ب) الحياة السياسية:

عندما تحدثنا عن الحياة الاجتماعية بيّنا أن العرب ينقسمون إلى قسمين: بدو وحضر. وسياسة المجتمعات مرتبطة بتكوينها الاجتماعي، فسياسة البدو تختلف عن سياسة الحضر؛ فالبادية تتكون من القبائل، والقبيلة تنقاد لرئيسها الذي نصب نفسه عليها عن طريق اقتناع أفراد القبيلة بالصفات التي يتميز بها ذلك الرئيس، وغالباً ما تكون تلك الصفات الشجاعة والكرم والحلم

(١) الحادرة: لقبه واسمه قطبة بن محصن بن جرول بن ذبيان وهو من شعراء الجاهلية. والبيت في المفضلليات ٤٥.

(٢) هو طرفة بن العبد بن سفيان البكري، شاعر جاهلي عاش في شرق الجزيرة العربية وتوفي سنة ٦٠ قبل الهجرة.

(٣) الطريف ما جمعه. والتالد ما وصل إليه بالإرث والمعنى صرفت مالي القدم والجديد.

(٤) تحامنتي: تركنتي. البعير المعبد: الأحراب. والبيتان في شرح القصائد التسع ٢٦١/١.

والعفو والأناة في الأمور. ورئيس القبيلة هو الذي يقودها في الحرب ويدير أمورها في السلم. ونظام الحضر السياسي يختلف عن القبائل البدوية؛ فساكن مكة من قريش لهم رئيس يخضعون لحكمه ولكنه لا ينفرد بكل شيء وإنما يوزع المناصب التي تدير شؤون مكة بين عدد من أفراد قبيلة قريش؛ فكانت السقاية في بني هاشم، والراية عند أبي سفيان بن حرب، ومساعدة منقطع الحاج (الرفادة) في بني نوفل، وكان مفتاح الكعبة وحجابتها في بني عبد الدار، وكذلك الإشراف على دار الندوة ورئاسة قريش تنتقل من فرد إلى آخر. وقد تولاهما أبو سفيان في زمن بعثة الرسول ﷺ وهذا النظام خاص بقريش في مكة فلا هو النظام القبلي ولا هو النظام الملكي السائد في بعض بلاد العرب.

وهناك أنظمة سياسية متشابهة في كل من اليمن والحيرة والشام وشمالي الجزيرة العربية. ففي اليمن قامت دول كان لها حظ من التنظيم السياسي، وهذه الدول هي دولة معين ودولة سبأ ودولة حمير.

وفي الحيرة قامت دولة المناذرة، ومن ملوكها المنذر بن النعمان والنعمان بن المنذر، وهي إمارة كبيرة وكانت تخضع للفرس ولا تخالفهم. وفي الشام قامت دولة الغساسنة التي لا يختلف نظامها السياسي عن دولة المناذرة في العراق، وقد قامت هذه الدولة بدعم من الروم.

وهناك دولة كندة التي شملت شمالي الجزيرة العربية فيما يعرف اليوم ببلاد الجوف وتيماء وحائل والقصيم ويمتد نفوذها - أحياناً - إلى اليمامة، ومن ملوك هذه الدولة الحارث بن عمرو وحُجر والد امرئ القيس الشاعر، وهو الذي زالت دولة كندة على يده عندما قتله بنو أسد.

(ج) الحياة العقلية:

إذا تتبعنا شعر العرب وخطبهم وأمثالهم وحكمهم وجدناها تشتمل على ما أنتجته عقولهم من رأي سديد وفكرة صائبة وإشارة لطيفة، وكان الشعر عندهم له شأن عظيم وكذلك الخطابة؛ فالخطيب والشاعر من المقدمين في المجتمع الجاهلي والعرب ليسوا بمنأى عن الأمم الأخرى، فهم

يختلطون بالأحباش والروم والفرس، أما اختلاطهم بالأحباش ففي اليمن، وأما اختلاطهم بالروم ففي سوق دومة الجندل، وأما اختلاطهم بالفرس ففي الحيرة وفي سوق المشقر في هجر. وكان عدد كبير من شعراء العرب ومن رؤسائهم وحكمائهم يقدون على النعمان ملك الحيرة، وعلى كسرى ملك الفرس، وعلى الغساسنة بالشام.

وبالإضافة إلى نقل العلوم من الأمم المجاورة فالعرب لهم معارفهم الخاصة التي ابتكروها من عندهم بسبب الحاجة إليها؛ مثل معرفة الأنساب فهم يحفظون أنسابهم ويعلمونها أولادهم؛ لأنهم في الجاهلية يعتمدون على القرابة؛ فالقبيلة هي التي تحمي أفرادها والذي ليس له قبيلة يلجأ إلى قبيلة تحميه، بل إنهم تعدوا ذلك إلى معرفة الأثر ومعرفة الجاني عن طريق أثره في الأرض، وهذه معرفة دقيقة يترتب عليها حفظ الأمن، والدليل على ذلك أن هذه الخبرة القديمة ما زالت مستعملة حتى الآن.

كان العرب يعرفون شيئاً من الطب فيداون مرضاهم بالأعشاب أو بالكي أو ببعض الأدوية الأخرى التي ينقلونها من الأمم المجاورة، وأما معرفة العرب بالنجوم والأنواء فهي متقدمة فهم يعرفون مواسم الأمطار ووقت زراعة الحبوب والأشجار، وهذه المعارف الجاهلية لا زالت سائدة في جزيرة العرب الآن.

ومن معارف العرب الرياضية والفروسية والكر والفر واستعمال أدوات القتال.

أيام العرب وأثرها في الأدب

يقصد بأيام العرب: الأيام التي وقعت فيها حروب، سواء أكانت بين القبائل العربية بعضها مع بعض أم بين العرب وبين جيرانهم من الفرس والأحباش. وأيام العرب تصور جانباً من حياتهم، فلو تتبعنا حياة العرب في الجاهلية لوجدنا أن الحروب والغارات والحديث عنها، وقول الشعر فيما يتعلق بها يشغل قسماً كبيراً من أوقاتهم على مدار السنة.

وأسباب أيام العرب كثيرة ومتنوعة منها: النزاع على المراعي والنزاع على المياه، والعصبية والانتصار للقبيلة، والأخذ بالثأر، والمحافظة على الشرف والرياسة. والشعر الجاهلي وثيق الصلة بهذه الأيام فكثير من أغراضه مبني على تلك الأيام؛ فالفخر والحماسة والرتاء والهجاء لها ارتباط واضح بما حصل في تلك الأيام، ومن أيام العرب المشهورة:

يوم ذي قار:

من أشهر أيام العرب كان بين العرب والفرس، وانتصر فيه العرب وكان في مبعث الرسول ﷺ وقد افتخر الشعراء بهذا النصر العظيم، فقال الأعشى من قصيدة:

لو أن كل معَدٍ كان شاركنا	في يوم ذي قار ما أخطاهم الشرف
لما أمالوا إلى النشّاب أيديهم	ملنا ببيض لمثل الهام تختطف
بطارق وبنو ملكٍ مرابذة	من الأعاجم في أذانها الشنف
كأنما الآل في حافات جمعهم	والبيض برق بدا في عارض يكف
ما في الخدود صدود عن سيوفهم	ولا عن الطعن في اللبّات منحرف

وقال العُدَيْل بن الفَرخ العجلي:

ما أوقدَ الناسُ من نارٍ لمكرمةٍ إلا اصطَلَيْنَا وكُنَّا موقدي النار

وما يعدُّون من يومٍ سمعتُ بهِ للناس أفضلَ من يومٍ بذى قارِ
جننا بأسلابهم والخيْلُ عابسةٌ لما استلَبْنَا لكسرى كلَّ إسوارِ

يوم خزازي:

كان بين اليمنيين والمعديين، ولم تزل اليمن قاهرة لمعد حتى كان هذا اليوم، فانتصرت معد وصارت لها المنعة، ولم تزل كذلك حتى جاء الإسلام وكان هذا اليوم بزعامه كليب بن ربيعة التغلبي وفي هذا اليوم يقول عمرو بن كلثوم التغلبي:

ونحن غداة أُوقِدَ في خزازي رَقَدْنَا فوق رِفْدِ الرافدينَا
وكُنَّا الأيمنين إِذَا التَّقَيْنَا وكان الأيسرين بنو أبينا
فصالوا صولةً في من يليهم وصُلْنَا صولةً في من يلينا
فآبوا بالنَّهَابِ وبالسَّبابَا وأبْنَا بالملوكِ مصفِّدِينَا

مناقشة

- ١ - قامت للعرب في الجاهلية إمارات في الجزيرة العربية. اذكرها
- ٢ - اذكر ما تعرفه عن معارف العرب العقلية.
- ٣ - ما أسباب الحروب التي تقع بين العرب في العصر الجاهلي؟
- ٤ - يَئِن مَنُ وقع يوم ذي قار، وما نتيجته؟

الشعر الجاهلي

نشأة الشعر الجاهلي وروايته:

الشعر هو الأثر الذي حفظ لنا حياة العرب في جاهليتهم. والشعر العربي قديم ولكن الذي وصل إلينا هو ما قيل في العصر الجاهلي. ومن أقدم ما وصل إلينا أشعار المهلهل بن ربيعة وامرئ القيس وغيرهم من شعراء الجاهلية، فأول من قصد القصائد وأكثر من قول الشعر الذي وصل إلينا هو المهلهل بن ربيعة التغلبي، ثم امرؤ القيس. وشعر امرئ القيس أقدم شعر جيد، ويعد رائد الشعر الجاهلي لأن شعره هو أول شعر قوي مكتمل يتناقله الرواة. وقد عاش امرؤ القيس في النصف الأول من القرن السادس الميلادي ويأتي بعده من الشعراء المشهورين الحارث بن حلزة الإشكري البكري. ويليه عمرو بن كلثوم التغلبي، ثم عنتره العبسي، ويلي عنتره زهير بن أبي سلمى، واشتهر النابغة الذبياني والأعشى وليد بن ربيعة العامري الذي أدرك الإسلام وأسلم. فهؤلاء الشعراء وصلت إلينا أشعارهم، وكلهم قد عاشوا في العصر الجاهلي. وقد وصل إلينا الشعر العربي عن طريق الرواية، فمنذ أن عرف الشعر الجاهلي وله رواة ينقلونه إلى من بعدهم.

وبعد انتهاء القرن الهجري الأول برز في الكوفة والبصرة رواة نذروا أنفسهم لرواية الشعر بل إنهم جعلوا رواية الشعر وتدوينه حرفة لهم، ومن أشهر هؤلاء: أبو عمرو بن العلاء، وحماد الرواية، والمفضل الضبي، والأصمعي.

وقد دونت هذه الروايات في دواوين شعرية نجدها بين أيدينا الآن ومنها: المفضليات، والأصمعيات، وحماسة أبي تمام، وحماسة البحتري، وكتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة، وطبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي.

أغراض الشعر الجاهلي

أغراض الشعر الجاهلي هي الموضوعات التي نظم فيها شعراء الجاهلية شعرهم؛ فإذا كان قصد الشاعر وغرضه من الشعر الاعتزاز بنفسه أو قبيلته فشعره فخر، وإذا كان قصد الشاعر التعبير عن الإعجاب بشخص ما في كرمه أو شجاعته أو غير ذلك فشعره مدح، وإذا كان قصده وغرضه النيل من شخص ما وتحقيره فذلك الهجاء، وإذا كان الشاعر يهدف إلى إظهار الحزن والأسى على الميت فذلك الرثاء، وإذا حَلَّقَ الشاعر في الخيال فرسم صوراً بديعة فذلك الوصف، وإذا عبَّرَ عن حديثه مع النساء فذلك الشعر هو الغزل، وإذا استعطف بشعره أميراً أو غيره فهو الاعتذار، وإذا نظر في الكون وحياة الناس فتلك الحكمة.

والقصيدة الواحدة في العصر الجاهلي تشمل عدداً من الأغراض؛ فهي تبدأ بالغزل ثم يصف الشاعر الصحراء التي قطعها ويتبع ذلك بوصف ناقته، ثم يشرع في الغرض الذي أنشأ القصيدة من أجله من فخر أو حماسة أو مدح أو رثاء أو اعتذار، ويأتي بالحكمة في ثانيا شعره فهو لا يخصص لها جزءاً من القصيدة.

وفيما يلي أهم أغراض الشعر الجاهلي:

المدح:

يعد من أهم الأغراض التي قال فيها شعراء الجاهلية شعرهم؛ وذلك أن الإعجاب بالمدوح والرغبة في العطاء تدفعان الشاعر إلى إتقان هذا الفن من القول، فيسعى الشاعر إلى قول الشعر الجيد الذي يتضمن الشكر والثناء، وقد يكون المديح وسيلة للكسب. والصفات التي يُمدحُ بها المدوح هي: الكرم والشجاعة ومساعدة المحتاج والعفو عند المقدرة وحماية الجار، وكثير من شعراء الجاهلية قالوا شعراً في هذا الغرض، فهم يمدحون ملوك المناذرة في الحيرة أو ملوك الغساسنة في الشام ويأخذون عطاءهم وجوائزهم. وكانت صلة طرفة بن العبد والمتلمس والنابعة الذبياني

وثيقة بملوك الحيرة، ولا يقل بلاط الغساسنة عن بلاط المناذرة في استقبال الشعراء فهم يغدقون المال الوفير على من يمدحهم من الشعراء، ومن أشهر الشعراء الذين وفدوا على ملوك غسان، النابغة الذبياني وحسان بن ثابت. ومن فحول الشعراء من جعل غُرَّ قصائده في رؤساء قومه كما فعل زهير بن أبي سلمى.

الهجاء:

غرض الشاعر وهدفه من الهجاء: تجريد المهجو من المثل العليا التي تتحلى بها القبيلة، فيجرد المهجو من الشجاعة فيجعله جباناً، ومن الكرم فيصفه بالبخل، ويلحق به كل صفة ذميمة من غدر وقعود عن الأخذ بالتأثر.

الثناء:

هو إظهار الحزن والأسى والحرقه بسبب فقد قريب أو عزيز، مع إبراز فضائل الميت وما كان يتحلى به من صفات كريمة.

وتبرز جودة الرثاء إذا كان في ابن أو أخ أو أب؛ فرثاء دريد بن الصمة لأخيه عبد الله من أجود الرثاء، ورثاء الخنساء لأخيها صخر يعد من الرثاء المؤثر في النفوس، وكانت تشهد عكاظاً وتدور في السوق وهي في هودج على جمل وقد وضعت علامة على هودجها ثم تقوم بإنشاد الشعر فتؤثر في من تمر به.

وقد تكون اللوعة بادية في الرثاء وإن لم يكن في قريب، نجد ذلك في رثاء أوس بن حجر لفصالة بن كلداء حيث يقول:

أَيُّهَا النَّفْسُ أَجْمَلِي جَزَعاً	إِنَّ الَّذِي تَحْذَرِينَ قَدْ وَقَعَا
إِنَّ الَّذِي جَمَعَ السَّامَحَةَ وَالنَّـ	جُدَّةَ وَالْحَزْمَ وَالْقُوَى جُمَعَا
الْأَلْمَعِيَّ الَّذِي يَظُنُّ بِكَ الظَّـ	نَّ كَأَنَّ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا ^(١)

(١) الألمعي: الذكي الذي إذا سمع أول الكلام عرف آخره. والأبيات في ديوان أوس ابن حجر ص ٥٣ والأغاني ٧٤/١١. وأوس بن حجر شاعر جاهلي من تميم توفي سنة ٣ ق هـ وفضالة بن كلداء من بني أسد.

الفخر والحماسة:

الفخر هو الاعتزاز بالفضائل الحميدة التي يتحلى بها الشاعر أو تتحلى بها قبيلته، والصفات التي يفتخر بها الشعراء هي الشجاعة والكرم والنجدة ومساعدة المحتاج، والفخر يشمل جميع الفضائل. أما الحماسة فهي الافتخار بخوض المعارك والانتصارات في الحروب، فالحماسة تدخل في الفخر ولكن ليس كل فخر حماسة، فنجد الحماسة في أشعار عنترة العبسي وعمرو بن كلثوم، ومعلقة عمرو تفيض بالحماسة ومن ذلك قوله:

ونحن التاركون لما سَخِطْنَا	ونحن الآخذون إذا رضيْنَا
ونشربُ إن وَرَدْنَا الماءَ صفوًّا	ويشربُ غيرُنَا كَدْرًا وطينًا
لنا الدنيا ومن أمسى عليها	ونَبْطِشُ حينَ نَبْطِشُ قادريْنَا
متى نَنْقُلُ إلى قومٍ رحانا	يكونوا في اللقاء لها طحينًا

الغزل:

هو التحدث عن النساء ووصف ما يجده الشاعر حيالهن من صباة وشوق، وما تُحدثُ حياةُ الترحال في الصحراء من تفرق بين المحبين. وقد طغى هذا الغرض على الشعراء فأصبحوا يصدِّرون قصائدهم بالغزل لما فيه من تنشيط للشاعر واندفاعه فيقول الشعر، ولما فيه من تنشيط للمستمع لذلك الشعر.

وكان معظم الشعراء يعبرون عن لوعتهم وحبهم في أبيات تصور خلجات النفس وتأثرها بالحب فكان كثير من الغزل في الشعر الجاهلي غزلاً عفيفاً إلا ما كان يصدر من بعض الشعراء الذين يغرقون في وصف مفاتن المرأة كامرئ القيس.

الوصف:

الوصف من الأغراض التي برع فيها شعراء الجاهلية وهو يرد في معظم أشعارهم؛ فالشاعر الجاهلي يركب ناقته في أسفاره، فيصفها وصفاً دقيقاً، وهو يمر بالصحراء الواسعة فيصورها

تصويراً بارعاً، يصف حرارتها في القيظ وما فيها من السراب الخادع، ويصف برودتها في الشتاء، ويركب فرسه للنزهة أو الصيد فيصفه. وقد برع شعراء الجاهلية في وصف الفرس وإعدادة للصيد، ونجد ذلك عند امرئ القيس وأبي دؤاد الإيادي. وغرض الوصف في العصر الجاهلي ليس مقصوداً لذاته وإنما يأتي في عرض القصيدة ليتوصل الشاعر إلى غرضه الرئيس من المدح أو الهجاء أو الرثاء أو الفخر.

الاعتذار:

الاعتذار هو استعطاف المرغوب في عفوهِ، حيث يبين الشاعر ندمه على ما بدر منه من تصرفٍ سابق. وتقديم العذر في عرض ملائم يقنع المُعتَذِرَ إليه المرجو عفوهِ - يدل على مهارة في القول وتفنن في الشعر.

وزعيم الاعتذار في العصر الجاهلي هو النابغة الذبياني الذي قال أجود اعتذار للنعمان بن المنذر ملك الحيرة، ومما خاطب به النعمان من ذلك الاعتذار قوله:

أتاني - أبيت اللعن - أنك لمتني	وتلك التي أهتمُّ منها وأنصَبُ
قَبْتُ كَأَنَّ الْعَائِدَاتِ فَرَشْنَ لِي	هَراساً به يُغَلِّي فراشي ويُقَشِّبُ ^(١)
حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبَةً	وليس وراء الله للمرء مذهبُ
لئن كُنْتُ قَدْ بُلِّغْتَ عني خيائَةً	لمبْلُغِكَ الواشي أَعْشُ وأَكْذَبُ
ولكنني كُنْتُ امراً لي جانبُ	من الأرض فيه مسترادٌ ومذهبُ
ملوكٌ وإخوانٌ إذا ما أتيتُهُم	أَحَكُّمُ في أموالهم وأقربُ
كفعلك في قومٍ أراك اصْطَنَعَتْهُم	فلم ترهم في شُكْرِ ذلك أدْنَبُوا
فلا تَتْرُكْني بالوعيد كأنني	إلى النَّاسِ مَطْلِي به القارُ أجربُ

(١) الحراس: نوع من الشوك، يقشَّب: يخالط الفراش. ديوان النابغة ص: ٧٢.

الحكمة:

الحكمة قول ناتج عن تجربة وخبرة ودراية بالأمور. ولها الأثر البالغ في النفوس، فربما اشتهر الشاعر بيت يشتمل على حكمة جيدة فيحفظه الناس ويتناقلونه، وتشتهر القصيدة أو شعر ذلك الشاعر بسبب تلك الحكمة، والحكمة ليست غرضاً مقصوداً لذاته وإنما هي من الأغراض التي تأتي ضمن الأغراض الأخرى للشعر.

وقد اشتهر عدد من الشعراء بحكمهم البليغة، ومن أولئك زهير بن أبي سلمى الذي بث حكمه القوية في شعره فاشتهرت وتردّدت على ألسن الناس قديماً وحديثاً، وإذا نظرنا في معلقة زهير وجدناها تحظى بالكثير من حكمه ومن ذلك قوله:

وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ الْمَنَآيَا يَنَلْنَهُ وَلَوْ رَامَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ يَسْلَمُ^(١)
وقوله:

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تُعلم^(٢)
ومثل زهير، علقمة بن عبدة الذي يقول:
والحمدُ لا يُشْتَرَى إِلَّا لَهُ ثَمَنٌ مِمَّا يَضِنُّ بِهِ الْأَقْوَامُ مَعْلُومٌ
والجودُ نَافِئَةٌ لِلْمَالِ مُهْلِكَةٌ وَالْبُخْلُ بَاقٍ لِأَهْلِيهِ وَمَذْمُومٌ

وقد تأتي الحكمة في صورة نصيحة وإرشاد كما فعل المثقب العبدى في قصيدته التي أولها:
لَا تَقُولَنَّ إِذَا مَالَكَ تَرَدُّ أَنَّ تُتِمَّ الْوَعْدُ فِي شَيْءٍ نَعَمٌ
حَسَنٌ قَوْلٌ نَعَمٌ مِنْ بَعْدِ لَا وَقَبِيحٌ قَوْلٌ لَا بَعْدَ نَعَمٍ

والحكم في الجاهلية تعبر عن التمسك بالمثل العليا السائدة في المجتمع، فهي ترشد إلى الأخلاق الفاضلة التي ترفع من قدر الإنسان عندما يتمسك بها، والحكمة ليس لها مكان معين في القصيدة؛ فقد تأتي مبثوثة في القصيدة، وقد تأتي في أول القصيدة أو في آخرها.

(١) انظر القصيدة في شرح القصائد التسع ١/ ٣٤٨.

(٢) خليقة: صفة خُلِّقَ.

خصائص الشعر الجاهلي

(أ) خصائص المعاني:

معاني الشعر هي الخواطر والنزاعات التي تجول في ذهن الشاعر فلا نعرفها حتى يؤديها في قوالب شعرية؛ فالمعنى في الشعر كالروح في الجسد؛ فالروح هي قوام الجسم ولكنها لا توجد إلا حيث يوجد الجسم وكذلك المعنى في الشعر لا يوجد إلا بوجود الألفاظ.

ومما تتميز به معاني الشعر الجاهلي ما يلي:

١- البساطة: فهي تعبر عن قصد الشاعر في سهولة ويسر بحيث يعرف السامع ما يريد الشاعر منذ سماعه للبيت أو الأبيات التي تحمل المعنى، وسبب السهولة هو أن المعاني تعبر عن أشياء محسوسة.

٢- الوضوح وعدم التعقيد أو التكلف. فالشعر يقال على البديهة أحياناً أو يقال استجابة للرغبة التي يحس بها الشاعر، وأما ما ينقل عن زهير بن أبي سلمى من أنه يُعِدُّ شعره قبل عرضه على الناس بزمان طويل فإن ذلك لا يدخل في باب التكلف وإنما يريد زهير تحويد شعره بإعادة النظر فيه عدة مرات قبل عرضه على الناس وانتشاره بينهم.

٣- الاعتدال في أداء المعنى وعدم المبالغة: وليس معنى ذلك أن المبالغة غير موجودة، فالشعر الجاهلي فيه بعض المبالغات ولكنها قليلة إذا قورنت بالمبالغة في الشعر العباسي، ومن الأبيات التي تشتمل على المبالغة قول النابغة الذبياني في صفة السيوف:

تَقْدُّ السَّلَوقِيَّ المِضَاعَفَ نَسْجُهُ وَتُوقِدُ بالصُّقَّاحِ نَارَ الحُبَابِ^(١)

٤- التصاقها بالمحسوس من الأشياء وابتعادها عن الجدل العقلي.

(١) السلوقي: الدرع المنسوبة إلى سلوق. الصفاح: الحجارة، وأراد بها الخوذة التي بقي بها الجند رؤوسهم. نار الحباب: ذباب له شعاع بالليل.

٥- عدم الترتيب: فالمعاني التي تشتمل عليها القصيدة غير مرتبة فكل بيت مستقل بمعناه، ولو أردنا أن نغير ترتيب البيات في القصيدة لما تأثر المعنى العام؛ لأن البيت لا يؤدي معناه إلى ما بعده من الأبيات إلا في القليل النادر، أما الشيء الذي يغلب على القصائد فهو استقلال كل بيت بمعناه دون ارتباطه بما قبله أو بما بعده.

٦- تشابه المعاني بين الشعراء. فنجد المعاني التي يطرقها الشعراء متشابهة في الفخر والمدح والثناء وغيرها ولذلك لم يجرؤ أي شاعر على ابتكار معان جديدة فأصبحت المعاني الجاهلية تتشابه في معظم القصائد.

(ب) خصائص الألفاظ:

الألفاظ هي الوعاء الذي يحتوي تلك المعاني التي تقدم ذكرها. ومما تتميز به ألفاظ الشعر الجاهلي ما يلي:

- ١- خلوها من التكلف والمحسنات اللفظية.
- ٢- الميل إلى القوة والجزالة. وخاصة في مواقف الحروب والحماسة والمدح، على أنه لا يخلو الشعر الجاهلي من بعض الألفاظ التي توصف بالركة والعذوبة وخاصة في مواقف الغزل ووصف الأطلال والديار.
- ٣- غلبة استعمال الألفاظ لأداء المعنى الحقيقي. أما الألفاظ التي تعبر عن المعاني المجازية فهي قليلة.
- ٤- غرابة بعض الألفاظ، وخاصة في غرض الوصف.

المعلقات

المعلقات:

قصائد طوال من الشعر الجاهلي حافلة بالمعاني والأغراض، في جزالة لفظ وقوة رصف ودقة تركيب.

وقد عَرَفَ الناس قدر المعلقات وقيمتها فقدموها على غيرها وجعلوا شعراءها أئمة للشعراء في العصر الجاهلي وما تلاه من عصور، وما زال المتذوقون للشعر يعترفون بتقديم شعراء المعلقات. وسميت تلك القصائد بالمعلقات لأنها علقت بأستار الكعبة، وتعليق الشعر الجيد على الكعبة ليس غريباً فمن عادة العرب أن يعلقوا الأمور المهمة على الكعبة؛ فعندما طال النزاع بين النبي ﷺ وقريش اتفقت قريش فيما بينها على أن تقاطع بني هاشم فلا يزوجهم، ولا يتزوجون منهم، ولا يبيعونهم شيئاً، وتعهّدوا على ذلك وكتبوا ذلك العهد في صحيفة علقوها في جوف الكعبة. ومن أسماء المعلقات السموط وهي العقود؛ فالعرب يشبهون القصيدة الجيدة بالعقد الذي يعلق في صدر الحسناء، ومن أسمائها المذهّبات لأن تلك القصائد كتبت بماء الذهب قبل تعليقها، ومن أسمائها القصائد المشهورات؛ لأنها اشتهرت أكثر من غيرها، وسميت أيضاً السبع الطوال الجاهليات، والتزم بهذا الاسم من رأى أن المعلقات سبع.

وأصحاب المعلقات الذين اتفق عليهم أكثر الرواة هم:

١ - امرؤ القيس، ومطلع معلقته:

قَفَانَبُكَ مِنْ ذَكَرَى حَبِيبٍ وَمَنْزَلٍ بِسَقَطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلٍ^(١)

٢ - طرفة بن العبد البكري، ومطلع معلقته:

لِخَوْلَةٍ أَطْلَالَ بِبَرْقَةٍ ِ نَهْمَدِ ِ تَلَوُّحِ كَبَاقِي الْوَشْمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ^(٢)

(١) سقط اللوى، الدخول، حومل: اسماء مواضع.

(٢) الأطلال: ما شُيِّدَ من آثار الديار. البرقة: حجارة يخالطها رمل. ونهمد: هضبة قرب القاعية في عالية نجد. الوشم: الخضاب.

- ٣ - زهير بن أبي سلمى المزني، ومطلع معلقته:
- أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ بِحَوْمَانَةِ الدَّرَاجِ فَالْمُتَثَلِّمِ^(١)
- ٤ - لبید بن ربیعۃ العامري، ومطلع معلقته:
- عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلُّهَا فَمُقَامُهَا بِمَنْى تَأَبَّدَ غَوْلُهَا فَرَجَامُهَا^(٢)
- ٥ - عمرو بن كلثوم التغلبي، ومطلع معلقته:
- أَلَا هُبَّيْ بِصَخْنِكَ فَاصْبَحِينَا وَلَا تُبْقِي حُمُورَ الْأُنْدَرِينَا^(٣)
- ٦ - عنترۃ بن شداد العبسي، ومطلع معلقته:
- هَلْ غَادَرَ الشُّعْرَاءُ مِنْ مُتَرَدِّمٍ أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُمِ^(٤)
- ٧ - الحارث بن حلزة اليشكري، ومطلع معلقته:
- أَذَنْتُنَا بِبَيْنِهَا أَسْمَاءُ رُبَّ ثَاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ^(٥)
- ٨ - الأعشى: ميمون بن قيس، ومطلع معلقته:
- وَدَّعْ هُرَيْرَةَ إِنَّ الرِّكْبَ مُرْتَجِلُ وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعاً أَيُّهَا الرَّجُلُ
- وقد جعل بعض الرواة معلقة الأعشى القصيدة التي مطلعها:
- ما بكاء الكبير في الأطلال وسؤالي وما تردّ سؤالي^(٦)

(١) الدمنة: الأثر والرماد. وحومانة الدراج: اسم موضع في شمالي القصيم قريب من القيصومة (قيصومة النباح) والمتثلّم: جبل في الجواء في القصيم.

(٢) عفت: درست: اخل: الموضع والمكان. والمقام: الإقامة. منى: هضبة حمراء فيها ماء قريبة من بلدة نفى وتبعد عن الدوادمي تسعين كيلا من جهة الشمال. تأبد: توحش. غول: جبل أحمر فيه ماء ويقع جنوبي منى ويبعد عنها أربعين كيلا. الرجاء: هضاب صغار على رؤوسها حجارة وتعرف اليوم باللحام وتقع بين غول ومنى.

(٣) هي: أي قومي من نومك. والصحن: القدح القصير الخيطان. أصبحينا: قدمي لنا الصبوح وهو ما يشرب في الصباح. الأندرين: موضع بالشام مشهور بجودة حموره. ويقصد بقوله: ولا تبقى حمور الأندرينا: أي لا تخفي الخمر الجيدة وتعطينا الرديئة.

(٤) يقال: ردمت الشيء: أي أصلحته. ومعنى (هل غادر الشعراء من متردم) أي هل ترك الشعراء معنى لم يطرَقوه!

(٥) آذنتنا: أخبرتنا. البين: الفراق. والثاوي: المقيم.

(٦) يقول: ما بكاء شيخ كبير مثلي وسؤالي من لا يرد عليّ.

٩ - النابغة الذبياني، ومطلع معلقته:

يا دَارَ مَيَّةَ بِالْعِلْيَاءِ فَالسَّنْدِ أَقَوْتُ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَبَدِ^(١)

ويرى بعض الرواة أن معلقة النابغة هي القصيدة التي مطلعها:

عُوجُوا فَحَيُّوا لِنُعْمِ دِمْنَةَ الدَّارِ مَاذَا تُحْيُونَ مِنْ نُؤْيٍ وَأَحْجَارِ^(٢)

١٠ - عبيد بن الأبرص، ومطلع معلقته:

أَقْفَرُ مَنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبٌ فَالْقُطَيْبَاتُ فَالذَّنُوبُ^(٣)

(١) العلياء: الأرض المرتفعة. السند: ما علا من سفح الجبل. أقوت: خلت من أهلها. الأبد: الدهر.

(٢) عوجوا: قفوا. الدمنة ما بقي من آثار الديار. النؤي: حفر حول الخباء لمنع المطر من الدخول إلى الخيمة.

(٣) ملحوب: منهل في شمالي القصيم يبعد عن بريدة ستين كيلا. القطيبات: هضاب في غربي القصيم وهي قريبة من سواج. الذنوب: ثلاث هضاب غرب بلدة عفيف بما يقارب تسعين كيلا.

مناقشة

- ١- يعتمد العرب في حفظ أشعارهم على الرواية. ما أثر الرواية في حفظ الشعر؟
- ٢- اذكر خمسة من رواة الشعر في القرن الثاني الهجري.
- ٣- اذكر أغراض الشعر الجاهلي إجمالاً.
- ٤- تميز بالاعتذار شاعر من شعراء العصر الجاهلي. فمن هو؟
- ٥- ما السمات التي تميز معاني الشعر الجاهلي؟
- ٦- اذكر خصائص ألفاظ الشعر الجاهلي.
- ٧- ما المعلقة؟ ولم سميت بذلك؟ واذكر بعض أسمائها الأخرى التي اشتهرت بها.
- ٨- اذكر مطالع المعلقة العشر مع ذكر أصحابها.

نماذج من الشعر الجاهلي

(١) من قصيدة ذو الإصبع العدواني^(١):

- ١- لِي ابْنُ عَمٍّ عَلَى مَا كَانَ مِنْ خُلُقٍ
- ٢- أَزْرَى بَنَانًا شَالَتْ نَعَامَتُنَا
- ٣- يَا عَمْرُو إِنَّ لَا تَدْعُ شَتْمِي وَمَنْقَصَتِي
- ٤- لَاهِ ابْنِ عَمِّكَ لَا أَفْضَلْتَ فِي حَسَبِ
- ٥- وَلَا تَقُوتْ عِيَالِي يَوْمَ مَسْغَبَةٍ
- ٦- إِنِّي لَعَمْرُكَ مَا بَابِي بِذِي غَلَقٍ
- ٧- وَلَا لِسَانِي عَلَى الْأَذْنَى بِمُنْطَلِقِ
- ٨- عَفَّ يَوْوُسٌ إِذَا مَا خِفْتُ مِنْ بَلَدٍ
- ٩- كُلُّ أَمْرٍ رَاجِعٌ يَوْمًا لِشَيْمَتِهِ
- ١٠- إِنِّي أَبِي أَبِي ذُو مُحَافَظَةٍ
- ١١- قَدْ كُنْتُ أَوْتِيكُمْ نُصْحِي وَأَمْنُكُمْ
- ١٢- لَا يُخْرِجُ الْقَسْرُ مِنِّي غَيْرَ مَغْضَبَةٍ
- مُخْتَلِفَانِ فَأَقْلِبْهُ وَيَقْلِبْنِي
- فَخَالَنِي دُونَهُ بَلْ خِلْتُهُ دُونِي
- أَضْرِبُكَ حَيْثُ تَقُولُ الْهَامَةُ اسْقُونِي
- عَنِّي، وَلَا أَنْتَ دَيَّانِي فَتَحْزُونِي
- وَلَا بِنَفْسِكَ فِي الْعَزَاءِ تَكْفِينِي
- عَنِ الصَّدِيقِ وَلَا خَيْرِي بِمَمْنُونٍ
- بِالْفَاحِشَاتِ وَلَا فَتْكَي بِمَأْمُونٍ
- هُونًا فَلَسْتُ بِوَقَافٍ عَلَى الْهُونِ
- وَإِنْ تَخَالَقَ أَخْلَاقًا إِلَى حِينٍ
- وَابْنُ أَبِي أَبِي مِنْ أَبْيَيْنِ
- وُدِّي عَلَى مُتَبِّتٍ فِي الصَّدْرِ مَكْنُونٍ
- وَلَا أَلِينُ لِمَنْ لَا يَبْتَغِي لِينِي

(١) اسمه حرثان بن محرث بن الحارث، أحد الشعراء الحكماء، عُمِّرَ طويلاً، وشهد كثيراً من أيام العرب، ولقب ذو الإصبع لأن أفعى ضربته في إصبعه فقطعتها.

(٢) من قصيدة أوس بن حجر^(١):

- ١- إني أرقْتُ ولم تَأْرِقْ معي صاح
- ٢- يا من لبرق أبيث الليل أرقُّبه
- ٣- داني مُسِفٍّ فُؤَيْقَ الأرض هَيْدُبُهُ
- ٤- كأنَّ رَيْقَهُ لما علا شَطْباً
- ٥- هَبَّتْ جنوب بأعلاه ومال به
- ٦- فالتَّجَّ أعلاه ثم ارتَجَّ أسفله
- ٧- كأنما بين أعلاه وأسفله
- ٨- فأصبح الروضُ والقيعانُ ممرعةً

- لِمُسْتَكِفٍّ بُعِيدَ النومِ لَوَّاحٍ^(٢)
- في عارض كمضيء الصُّبْحِ لَمَّاحٍ
- يكاد يدفعه من قام بالراح^(٣)
- أَقْرَابُ أَبْلَقٍ يَنْفِي الْخَيْلَ رَمَّاحٍ^(٤)
- أعجازُ مزنٍ يسح الماء دلاح^(٥)
- وضاق ذرعاً بحمل الماء مُنْصَاحٍ^(٦)
- رَيْطٌ مَنْشَرَةٌ أو ضوءُ مصباح^(٧)
- من بين مُرْتَفِقٍ منها وَمُنْطَاحٍ^(٨)

(٣) من قصيدة الحادرة^(٩):

- ١- بَكَرَتْ سُمَيَّةٌ بُكْرَةً فَتَمَتَّعَ
- ٢- وَتَزَوَّدَتْ عَيْنِي غَدَاةً لَقِيْتُهَا
- ٣- وَتَصَدَّقْتُ حَتَّى اسْتَبْتَكَّ بَوَاضِحٍ
- ٤- وَبِمَقْلَتِي حَوْرَاءَ تَحْسِبُ طَرْفَهَا
- ٥- وَإِذَا تُنَازَعُكَ الْحَدِيثُ رَأَيْتَهَا
- ٦- أَسْمَيَّ وَيَحَاكَ هَلْ سَمِعْتَ بَغْدَرَةَ

- وَعَدَتْ غَدُوَّ مُفَارِقٍ لِمَ
- بَلَوَى الْبُنَيَّةَ نَظْرَةً لَمْ تُقْلِعَ
- صَلَّتْ كَمُنْتَصِبِ الْغَزَالِ الْأَتْلَعِ
- وَسَنَانٍ، حُرَّةٌ مُسْتَهْلٍ الْأَدْمُعِ
- حَسَنًا تَبَسُّمُهَا، لَذِيذَ الْمَكْرَعِ
- رُفِعَ الْلَوَاءُ لَنَا بِهَا فِي مَجْمَعِ

(١) أوس بن حجر بن مالك التميمي شاعر جاهلي ولد سنة ٩٨ ق هـ وتوفي سنة ٢ ق هـ. والأبيات في ديوانه ص ١٥.

(٢) المستكف: المطر الهاطل.

(٣) مسف: شديد الدنو، هيدبه: ما تدلى منه.

(٤) ريقه: ما اشرف منه. شطب: جبل شمالي القصيم. الأقرب: جمع القرب وهو الكشح (ما بين الخاصرة والضلوع) أبلق: أبيض وأسود.

(٥) دلاح: مثقل بالماء.

(٦) التج: صوت من اللجة، منصاح: منشق بالماء.

(٧) الریط: الملاعة.

(٨) المرتفق: ماء راكد. المنطاح: ماء سائل.

(٩) هو قطبة بن أوس بن محسن، شاعر جاهلي مجيد مقل، من بني ثعلبة بن سعد.

- ٧- إِنَّا نَعِيفُ فَلَا تُرِيبُ حَلِيفَنَا
 ٨- وَنَقِي بِأَمِنْ مَالِنَا أَحْسَابَنَا
 ٩- وَنَخُوضُ غَمْرَةَ كُلِّ يَوْمٍ كَرِيهَةٍ
 ١٠- وَنُقِيمُ فِي دَارِ الْحِفَاظِ بُيُوتَنَا
 وَنُكْفِ شُحَّ نُفُوسِنَا فِي الْمَطْمَعِ
 وَنُجِرُ فِي الْهَيْجَا الرِمَاحِ
 تُزْدِي النُّفُوسَ وَغُنْمُهَا لِلْأَشْجَعِ
 زَمَنًا، وَيَظْعَنُ غَيْرُنَا لِلْأَمْرَعِ

(٤) من قصيدة المثقب العبدى^(١):

- ١- لَا تَقُولَنَّ إِذَا مَا لَمْ تُرِدْ
 ٢- حَسَنُ قَوْلٍ نَعَمْ مِنْ بَعْدِ لَا
 ٣- إِنَّ لَا بَعْدَ نَعَمْ فَاحْشَةٌ
 ٤- فَإِذَا قُلْتَ نَعَمْ فَاصْبِرْ لَهَا
 ٥- وَاعْلَمْ إِنَّ الدَّمَ نَقْصٌ لِلْفَتَى
 ٦- أَكْرِمُ الْجَارَ وَأَرْعَى حَقَّهُ
 ٧- أَنَا بَيْتِي مِنْ مَعَدٍّ فِي الدَّرَى
 ٨- لَا تَرَانِي رَاتِعًا فِي مَجْلِسِ
 ٩- إِنْ شَرَّ النَّاسِ مَنْ يَكْشُرُ لِي
 ١٠- وَكَلَامٌ سَيِّئٌ قَدْ وَقُرْتُ
 ١١- فَتَعَزَّيْتُ خَشَاةً أَنْ يَرَى
 ١٢- وَلِبَعْضِ الصَّفْحِ وَالْإِعْرَاضِ عَنْ
 أَنْ تُتِمَّ الْوَعْدَ فِي شَيْءٍ نَعَمْ
 وَقَبِيحُ قَوْلٍ لَا بَعْدَ نَعَمْ
 فَلَا فَابِدًا إِذَا خَفَتِ النَّدَمُ
 بِنَجَاحِ الْقَوْلِ إِنْ لَخَلَفَ دَمُ
 وَمَتَى لَا يَتَّقِي الدَّمَ يُدَمُّ
 إِنْ عَرَفَانَ الْفَتَى الْحَقَّ كَرَمُ
 وَلِي الْهَامَةُ وَالْفَرْغُ الْأَشْمُ
 فِي لُحُومِ النَّاسِ كَالسَّبْعِ الضَّرْمِ^(٢)
 حِينَ يَلْقَانِي وَإِنْ غِبْتُ شَتَمَ^(٣)
 أَذْنِي عَنْهُ وَمَا بِي مِنْ صَمَمٍ^(٤)
 جَاهِلٌ أَنِّي كَمَا كَانَ زَعَمُ
 ذِي الْخَنَا أَبْقَى وَإِنْ كَانَ ظَلَمَ^(٥)

(١) هو العائد بن محسن بن ثعلبة من بني عبد القيس من ربيعة توفي سنة ٣٥ ق. هـ.

(٢) راتعاً: آكلاً، الضرم: الشديد النهم.

(٣) يكشر لي: يضحك ويدي أسنانه.

(٤) الوقر: ثقل السمع.

(٥) الخنا: الفحش. القصيدة في المفضليات، ص: ٢٩٣.

امرؤ القيس

حياته:

هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث من قبيلة كندة باليمن، ولد في بلاد بني أسد^(١) في نجد حيث كان والده حُجْر والياً من قبل أبيه على بني أسد وغطفان، وكان جده الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار ملكاً عظيماً، ففي بيت الإمارة الكبير ولد امرؤ القيس سنة ١٣٠ ق.هـ - ٤٩٧ م. وتفتحت عيناه على مملكة جده الكبيرة، فنشأ في نعمة وترعرع في بيت عز وشرف.

وفي أول شبابه بدأ يميل على اللهو وقول الشعر ومصاحبة الصعاليك، وكان ذلك السلوك لا يرغب فيه والده حجر، فقد كان يتطلع إلى ابن حازم يساعده على الوقوف في وجه الصعاب التي تحديق به، وقد غضب حجر على ابنه وطرده؛ فأخذ امرؤ القيس يقضي وقته في النزهات المتواصلة واللهو ومعاقرة الخمر.

وبينما هو مقيم مع ندمائه وأصحابه في (دمون) وهي قرية في حضرموت، رزىء بمقتل والده حجر، فقال كلمته المشهورة: "ضيعني صغيراً وحملني دمه كبيراً، لا صحو اليوم ولا سكر غداً، اليوم خمر وغداً أمر". وسبب مقتل والده: أن بني أسد تقاعست عن دفع الإتاوة فأرسل حجر جباته وأمرهم بضرب من تقاعس أو تأخر عن دفع الإتاوة، فما كان من بني أسد إلا أن أجمعوا أمرهم وقتلوا حجراً، وهذا ما أشار إليه امرؤ القيس في قوله:

أَتَانِي حَدِيثٌ فَكَذَّبْتُهُ بِأَمْرِ تَزَعَزَعُ مِنْهُ الْقُلُلُ
بِقَتْلِ بَنِي أَسَدٍ رَبَّهُمْ أَلَا كُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ جَلَلٍ^(٢)

ثم مضى امرؤ القيس يطلب ثأر أبيه في بني أسد وأعانه على ذلك أخواله من بكر وتغلب، ثم تخلوا عنه حين لجَّ في الخصومة وأسرف في سفك الدماء والقتل.

(١) تعرف اليوم بالقصيم.

(٢) جلل: هين.

وقد ظل شريداً ينتقل بين أحياء العرب، إلى أن نزل على السموأل بتيماء فأجاره، وطلب إليه امرؤ القيس أن يكتب إلى الحارث بن أبي ثمر - أمير الغساسنة بالشام- ليوصله إلى قيصر ملك الروم، فأجاب السموأل طلبه، ثم أخذ امرؤ القيس الكتاب واتجه إلى الحارث الغساني في (جلّق) الذي ساعده في الوصول إلى قيصر، وسار امرؤ القيس حتى وصل إلى قيصر فاستقبله قيصر وأكرمه وأنجده بجيش كبير، فخرج امرؤ القيس من بلاد الروم فرحاً بما حصل عليه، لكن أحد رجال بني أسد يقال له (الطماح الأسدي) استطاع الوصول إلى قيصر، فوشى بامرئ القيس وأوغر صدر قيصر عليه، فغضب وأمر باسترداد الجيش، وأرسل إلى امرئ القيس حلة مسمومة ما إن لبسها حتى أصيب بعلقة تقرح منها جلده، واستبد به المرض والحزن فمات بأنقره، ولذا لقب بذئ القروح، كما لقب بالملك الضليل.

شعره:

امرؤ القيس شاعر مشهور تناقل الناس شعره في حياته وحفظوه، وأعجبت قريش بمعلقاته فعلقته على الكعبة وهي أول قصيدة تعلق على الكعبة، وقد أخذ الرواة والشعراء يحفظون شعره ويقلّدونه، ويجمع مؤرخو الأدب على أنه زعيم الشعراء الجاهليين. وشعر امرؤ القيس متأثر بحياته التي عاشها فمعظم شعره قاله في وقت شبابه عندما كان يلهو ويمرح وينتقل من غدير إلى آخر ويقضي وقته في الغزل ومحادثة النساء واستماع الغناء، فتلك الحياة اللاهية صورها أدبه خير تصوير، وبعد قتل أبيه تغيرت حياته فتغير أدبه فأصبح يقول قصائد تشمل الحكمة ومصير الإنسان وما كان يخبيء له القدر من الأحداث الجسيمة. وأهم الموضوعات التي قال فيها امرؤ القيس شعره هي:

١- الغزل:

غزل امرؤ القيس غزل عابث وهو عبارة عن حكايات وقصص طريفة تشتمل على صلته بالنساء وحظوته عندهن، وكان يسبك ذلك الحديث في شعر قصصي طريف، فإذا قرأنا المعلقة

وجدنا فيها وصفاً حياً ليوم دارة جلجل^(١) عندما نحر ناقته للعدارى وقضى يومه يشوي اللحم ويلهو مع النساء، قال:

ويوم عقرت للعدارى مطيتي فيا عجباً من رحلها المُتَحَمِّل
فذل العذارى يرتَمينَ بلحمها وشحم كَهْدَابِ الدِّمَقسِ المُفْتَلِّ^(٢)

٢ - الوصف:

أبدع امرؤ القيس في وصف طول الليل، ووصف الفرس والصيد ووصف السحاب والأمطار نجد ذلك في قصائد مختلفة، وهو في وصفه قد تقدم على غيره من الشعراء؛ مثل قوله في وصف الفرس:

وقد أَعْتَدِي والطيرُ في وَكُنَاتِهَا بِمُنْجَرِدِ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ^(٣)
مِكَرٍ مَقَرٍ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعَا كَجُلُودِ صَخْرٍ حَطَّه السَّيْلُ مِنْ عَلِ^(٤)

٣ - شكوى الزمان:

بعد أن تغيرت الدنيا على امرئ القيس أصبح يقول شعراً مغايراً لشعره في شبابه، فبعد أن قتل أبوه أصبح ينظر إلى المستقبل بعين الارتياب، فهو يطالب بدم أبيه دون أن يحصل على طائل. وشكوى الزمان تظهر في هذه القصيدة:

أرانا مُوضِعِينَ لأمرٍ غيبٍ ونُسَحَرَ بالطعام وبالشراب^(٥)
فَبَعْضَ اللّومِ عَاذَلْتِي فَأِنِّي ستكفيني التجارب وانتسابي
إلى عِرْقِ الثرى وَشَجَّتْ عُرُوقِي وهذا الموت يسلبني شبابي^(٦)
ونفسي سوف يسلبُني وجِرمي فَيُلْحِقُنِي وشيكاً بالتراب

(١) دارة جلجل: روضة في هضبة الدواسر بالقرب من وادي الدواسر.

(٢) يشبه الشحم بالحرير المفتول.

(٣) وكناتها: أماكنها. منجرد: قصير الشعر. الأوابد: الوحش. هيكل: ضخم.

(٤) الجلود: الصخرة الصلبة.

(٥) موضعين: مسرعين.

(٦) وشجت: اتصلت.

وقد طَوَّفْتُ في الآفاقِ حتَّى رضيت من الغنيمَةِ بالإيابِ
أُبْعِدُ الحارِثَ الملكِ بنَ عَمْرٍو وبعد الخيزِ حُجْرٍ ذي القَبَابِ^(١)
أُرَجِّي من صُرُوفِ الدهرِ ليناً ولم تَغْفُلْ عن الصَّمِّ الهضابِ^(٢)
واعلم أَنني عَمَّا قَلِيلٍ سأنشَبُ في شَبَا ظُفْرِ وَنَابِ^(٣)
كما لاقى أباي حُجْرٌ وجَدِّي ولا أنسى قَتيلاً بالكُلابِ^(٤)

فهذه القصيدة تختلف عن القصائد التي قالها في شبابه فكلها شكوى ونظرة إلى المستقبل تحمل الشك والريبة، فالبشر سائرون إلى مصير معروف هو الموت والشواهد على ذلك قائمة، فجد الشاعر وأبوه وعمه ضمَّهم التراب.

وشعر امرئ القيس هو الذي فتح الطريق للشعراء فقلدوه في الأغراض التي قال فيها الشعر، وقد سبق غيره إلى ذكر الأطلال والوقوف عليها، وإلى الغزل الرقيق، وذكر طول الليل، وسبق الشعراء إلى وصف الفرس والسحاب. وهو إمام الشعراء في العصر الجاهلي، به يقتدون وعلى نهجه يسرون.

(١) الحارث جده وحجر أبوه.

(٢) الصم: الحجارة الصلبة. الهضاب: الصخور الراسية.

(٣) شبا كل شيء: حده.

(٤) الذي قتل بالكلاب هو عمه شرحبيل، والكلاب: ماء في عالية نجد وقعت بقربه المعركة التي قتل فيها عمه.

وصف الليل والفرس والصيد:

من معلقة امرئ القيس

- ١- ولَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرخَى سُدُولَهُ
 - ٢- فَقُلْتُ لَهُ لِمَا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ
 - ٣- أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَنْجِلِ
 - ٤- فَيَاكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنْ نُجُومَهُ
 - ٥- كَأَنْ الثَّرِيَا عُلِّقَتْ فِي مَصَامِهَا
 - ٦- وَقَدْ أَغْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا
 - ٧- مَكْرٍ مَقَرٍّ مَقْبَلٍ مَدْبِرٍ مَعَا
 - ٨- كُمَيْتٍ يَزِلُّ اللَّبْدُ عَنْ حَالٍ مَتْنِهِ
 - ٩- مَسَحَ إِذَا مَا السَّابِحَاتُ عَلَى الْوَنَى
 - ١٠- يَزِلُّ الْغُلَامُ الْخَفُّ عَنْ صَهَوَاتِهِ
 - ١١- لَهُ أَيْطَلَا ظَبْيِي وَسَاقَا نَعَامَةٍ
- عَلَى بِأَنْوَاعِ الْهَمُومِ لِيَبْتَئِلِي
وَأَرْدَفَ أَعْجَازاً وَنَاءً بِكَأَكْلِ
بَصْبَحٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ
بِكُلِّ مُغَارٍ الْقَتْلُ شَدَّتْ بِدَبْلِ
بِأَمْرَاسٍ كَثَّانٍ إِلَى صُحْمٍ جَنْدَلِ
بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ
كَجَلْمُودٍ صَخِرَ حَطُّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلٍ
كَمَا زَلَّتِ الصَّفْوَاءُ بِالْمُنْتَزِلِ
أَثَرْنَ غُبَاراً بِالْكَدِيدِ الْمُرْكَلِ
وَيُلَوِي بِأَنْثَوَابِ الْعَنِيفِ الْمُثْقَلِ
وَارِخَاءَ سِرْحَانٍ وَتَقْرِيبُ تَنْقَلِ

شرح الأبيات:

(١) سدوله: ستوره.

لقد أحاط بي الليل المظلم وأضفى عليّ الستور فلا أرى شيئاً، فكأنّ قطع ظلمته أمواج البحر الهائلة، وعندما حجب الرؤية عن عيني أخذت الهموم تتتابني من كل جانب ولكني صبرت لها.

(٢، ٣) أعجازه: أواخره. ناء: نهض. ككل: صدر. أمثل: أفضل

لقد خاطبت الليل عندما أخذ يمدد جسده؛ فتارة يعرض ظهره وأخرى يجعل عجزه يتبع

أوله، وثالثةً يحاول النهوض والزوال فلا يستطيع، خاطبته قائلاً: انكشف وزل أيها الليل الطويل واترك الصبح يظهر فيريحي، ثم رجعت على نفسي فعرفت أن همَّ الليل ليس بأهون من هم الصبح.

(٤) المغار: المحكم القتل. يذبل: جبل في عالية نجد ويعرف اليوم بصبحا. إنني أبدي عجي منكِ أيها الليل؛ فكأن نجومك ثبتت في أماكنها لا ترحها وكأنها ربطت بحبال قوية في جبل يذبل.

(٥) مصامها: موضعها. الأمراس: جمع مَرَس وهي الحبال المفتولة. الصم: الصلب. الجندل: الحجارة.

وإذا نظرت إلى الثريا وجدتها ثابتة في مكانها فكأنها قد ربطت بحبال كتان إلى حجارة صلبة. أغتدي: أخرج بفرسي في الغداة، عند تباشير الصباح.

وكنائها: أعشاشها. المنجد: الفرس القصير الشعر. الأوابد: الوحش. الهيكل: الفرس الطويل الضخم.

إنني أعرف وقت الخروج للصيد فأنا أباغته صباحاً قبل أن تغادر الطيور أعشاشها، ووسيلتي لذلك ركوب حصان اكتمل خلقه فهو طويل وضخم.

(٧) الجلمود: الصخر الأصم.

وحصاني معتاد على الكر والفر، فهو يقبل ويدبر ويراوغ الوحش فإذا رايته في معركة مع الفريسة ظننته قطعة حجر دحرجها السيل من أعلى إلى أسفل.

(٨) كمي: أحمر يميل إلى السواد.

البلد: ما يوضع من قطع الصوف على ظهره. الصفواء: الصخرة الملساء. المنزل: المطر. ذلك الحصان لونه أحمر يميل على السواد وهو مكتنز باللحم والشحم، فإذا وضعت شيئاً على ظهره فإنه ينحط عنه كما ينحط المطر من على الصخرة الملساء.

- (٩) مسح: كثير الجري. السابحات: التي تسبح في جريها.
الوني: الإعياء. الكديد: ما صلب من الأرض. المُرْكَل: ما ركلته بقوائمها.
إن حصاني يسير سيراً سريعاً عندما تفتت الخيل وتتعب فتضرب الأرض بحوافرها من شدة التعب، فإذا رأيته مع تلك الخيل فكأنه يسبح في الهواء من سرعة جريه.
(١٠) الخف: الخفيف الجاهل بالركوب. الصهوة: موضع الفارس من ظهر الفرس. العنيف المثلث: الذي لا يحسن الركوب.
إذا حاول الغلام الخفيف ركوب ذلك الجواد زلق عن ظهره وإذا حاول ركوبه الثقيل لوى بثيابه فطرحه وذلك لسرعة عدوه، وإنما يركبه الفارس المتمرس في ركوب الخيل.
(١١) الأيطل: الخاصرة. إرخاء: سرعة في لين. التقريب: دون العدو. تتفل: ولد الثعلب.
لقد أخذ جوادي الصفات الحميدة من كل حيوان أو طير فخاصرتة ضامرة تشبه خاطرة الظبي، وساقاه طويلتان تشبهان ساقَي النعامة، فإن عدا وأسرع أشبه الذئب، وإن تراخى في عدوه أشبه الثعلب.

النابعة الذبياني

حياته:

اسمه زياد بن معاوية من بني غيظ بن مرة، ومرة من قبائل ذبيان، وذبيان قبيلة مضرية، وقد لقب بالنابعة لنبوغه في الشعر.

وقد نشأ النابعة في بلاد قومه، وكانت أسرته لها مكانة مرموقة في قبيلة ذبيان. والنابعة شاعر فحل وقد عُرف بذلك من خلال تقدير الناس له وإعجابهم بشعره، ولذلك فقد طُلب جوائز الملوك وذهب إلى النعمان بن المنذر ملك الحيرة وأقام عنده وأخذ يمدحه بقصائده الرائعة، وكان النعمان يعطيه العطايا الجزيلة التي تصل إلى مئة ناقة. وقد استطاع النابعة أن ينال المنزلة العالية عند النعمان وأن يتقدم على غيره من الشعراء الذين يفدون على ملك الحيرة، وهم كثيرون ومنهم أوس بن حجر التميمي والأعشى وليد بن ربيعة العامري وحسان بن ثابت.

وعلى الرغم من منزلة النابعة عند النعمان فقد ترك الشاعر بلاط النعمان وذهب إلى الغساسنة في الشام وأقام عند ملك (جَلَق) عمرو بن الحارث الأصغر؛ وذلك حتى يصلح الأمور بين عمرو بن الحارث وبين قبيلته (ذبيان) إثر اعتداء القبيلة على حمى الحارث.

وبعد سنوات قضائها في بلاط الغساسنة عاد إلى صاحب نعمته الأولى النعمان بن المنذر ملك الحيرة، واعتذر له، وكان النعمان قد غضب عليه، وكيف لا يغضب وهو قد ذهب إلى أعدائه (الغساسنة) وسمع بمدائحهم، ومما قال فيهم:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قِراع الكتائب

تُورَثَن من أزمان يوم حليلة إلى اليوم قد جُرِّين كُلَّ التجارب

ويوم (حليلة) هو اليوم الذي قُتل فيه الحارث بن أبي شمر الغساني المنذر بن ماء السماء والد النعمان بن المنذر، ولكن مهارة النابعة في الاعتذار شفعت له عند النعمان فرضي عنه وقربه، وقد بقي ملازماً للنعمان حتى قتل سنة ٦٠٢م، وبعد قتل النعمان عاد النابعة إلى بلاد قومه وأقام فيها سنتين حيث توفي سنة ٦٠٤م ١٨ ق. هـ.

شعره:

شعر النابغة الذبياني من أجود ما وصل إلينا من الشعر الجاهلي، وقد شهد له عمر بن الخطاب بالجودة فعندما وفدت غطفان على عمر رضي الله عنه قال لهم: يا معشر غطفان، أيُّ شعرائكم الذي يقول:

حلفتُ فلم أتركْ لنفسِكَ رِيبةً وليس وراءَ الله للمرءِ مذهبُ

قالوا: النابغة يا أمير المؤمنين. قال: هذا أشعر شعرائكم.

وقد عده ابن سلام صاحب (طبقات فحول الشعراء) من الطبقة الأولى، بل جعله بعد امرئ القيس مباشرة، وإذا نظرنا في شعر النابغة وجدناه شعراً قد أتقن صنعه، فهو يستحق المنزلة التي وضع فيها، فهذا الشعر يجمع بين رقة الحضارة وقوة البداوة. وصاحبه يتعهده بالإتقان؛ لأن معظمه لا يقال إلا في ملك، ولا يلقي إلا في حضرة عدد كبير من الشعراء والنقاد. وقد قال النابغة الشعر في أغراض مختلفة منها: المدح والاعتذار والثناء والوصف والحكمة.

المدح:

يعد مدح النابغة من أجود شعر المدح في العصر الجاهلي، وذلك لأنه ينتقي معاني المدح بحيث ترضي الممدوح وكأنها جديدة لم يسمع بها من قبل، وهو في مدحه يستعمل التشبيه كما في قوله مخاطباً النعمان بن المنذر:

ألم تر أن الله أعطاك سُورَةً ترى كل مَلِكٍ دونها يَتَذَبَذَبُ^(١)
بأنك شمسٌ والملوكُ كواكبٌ إذا طلعتْ لم يبدُ منهن كوكبٌ

وقد سبق النابغة الشعراء الجاهليين إلى بعض معاني المدح مثل مدحه الغساسنة بالنعيم في قوله:

رَقاقِ النعال طيبٌ حُجْرَاتُهُمْ يُحَيُّونَ بِالرَّيْحَانِ يَوْمَ السَّبَّاسِبِ^(٢)

(١) السورة: المنزلة الرفيعة.

(٢) السباسب: عيد.

تُحْيِيَهُمْ بِيضُ الْوَلَايِدِ بَيْنَهُمْ وَأَكْسِيَةُ الْإِضْرِيحِ فَوْقَ الْمَشَاجِبِ^(١)
يَصُونُونَ أَجْسَاداً قَدِيمًا نَعِيمُهَا بِخَالِصَةِ الْأُرْدَانِ خُضْرُ الْمَنَاقِبِ

الاعتذار:

يعد النابغة رائد هذا الفن من فنون الشعر الجاهلي فمنهجه في الاعتذار هو المنهج الذي سار عليه شعراء الجاهلية. ولكن لم يستطع الشعراء الآخرون أن يجيدوا القول في الاعتذار كما أجاد النابغة، فهو يعمد إلى التعليل، وتفتيق المعاني، والمناقشة، وإدخال المدح في قصيدة الاعتذار، وإيراد بعض الأبيات المشتملة على الحكمة؛ فإذا قرأنا قصائد النابغة الاعتذارية وجدنا هذه الصفات تتوافر فيها؛ فقصيدته التي مطلعها:

أَتَانِي أَبَيْتَ اللَّغْنِ - أَنتَ لُمْتَنِي وَتِلْكَ الَّتِي أَهْتَمُّ مِنْهَا وَأَنْصَبُ

بدأها بالهم الذي أحاط به، ثم حلف بالله بأنه غير مذنب وذلك في قوله:
حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرِكْ لِنَفْسِكَ رِيبةً وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبُ

ثم ناقش المخاطب فيما بلغه عنه وذلك في قوله:
لِإِنْ كُنْتَ بُلِّغْتَ عَنِّي خِيَانَةً لِمُبْلَغِكَ الْوَاشِي أَغْشُ وَأَكْذَبُ

ولم يهمل النابغة طلب العفو بل قال:
فَلَا تَتْرَكْنِي بِالْوَعِيدِ كَأَنَّنِي إِلَى النَّاسِ مَطْلِي بِهِ الْقَارُ أَجْرَبُ

وفي آخر القصيدة أشار إلى أن الإنسان لا يخلو من العيوب، وذلك في قوله:
وَلَسْتُ بِمُسْتَبْقٍ أَخَا لَا تَلْمُهُ عَلَى شَعَثٍ؛ أَيُّ الرِّجَالِ الْمُهْدَبُ

وللنابغة قصائد أخرى في الاعتذار لا تقل جودة عن هذه القصيدة.

الوصف:

برع النابغة في وصف الليل، وفي تصوير الطيور التي تتابع جيش الغساسنة، وفي تصوير الكلاب عندما ترسل للصيد.

(١) الإضریح: الخز الأحمر.

وبراعة النابغة تظهر في جلب انتباه القارئ ومتابعته للصورة التي يعرضها الشاعر؛ فوصف طول الليل يفضل به بعض النقاد على وصف طول الليل عند امرئ القيس. والأبيات التي تصف طول الليل هي:

كَلِّني لَهُمَّ يَا أُمَيْمَةُ نَاصِبٍ وَلَيْلٍ أَقَاسِيهِ بَطِيٍّ الْكَوَكِبِ
تَطَاوَلَ حَتَّى قُلْتُ لَيْسَ بِمُنْقَضٍ وَلَيْسَ الَّذِي يَرعى النجومَ بَأَيِّبٍ^(١)
وَصَدَرَ أَرَاخَ اللَّيْلِ عَازِبَ هَمِّهِ تَضَاعَفَ فِيهِ الْحُزْنُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ

أما الأبيات التي تصور الطيور وهي تتابع جيش الغساسنة فهي:

إِذَا مَا غَزَوْا بِالْجَيْشِ حَلَّقَ فَوْقَهُمْ عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ^(٢)
يُصَاحِبُهُمْ حَتَّى يُغَرْنَ مُعَارَهُمْ مِنَ الضَّارِيَاتِ بِالْذِمَاءِ الدَّوَارِبِ^(٣)
تَرَاهُنَّ خَلْفَ الْقَوْمِ خُزْرًا عِيُونُهَا جُلُوسَ الشُّيُوخِ فِي ثِيَابِ الْمَرَانِبِ^(٤)

الحكمة:

شعر النابغة ينبع من تجربة، وتشمله الحكمة، ولكننا لا نجد قصائد تختص بالحكمة أو أبياتاً متتابعة يقولها الشاعر في الحكمة، وإنما نجد أبيات الحكمة مبثوثة هنا وهناك في قصائده الكثيرة من مثل قوله:

وَلَسْتُ بِمُسْتَبْقٍ أَخَا لَا تَلْمُؤُهُ عَلَى شَعَثٍ أَيُّ الرِّجَالِ الْمَهْدَبِ

ولو لم يكن النابغة حكيماً لما استطاع الرجوع إلى النعمان بعد تهديده إياه، ولما جلس للناس في سوق عكاظ يبين لهم الشعر الجيد من الشعر الرديء.

(١) الذي يرعى النجوم: الصبح.

(٢) عصائب: مجموعات.

(٣) الدوارب: المتعودات.

(٤) المranب: ثياب سود. وخزرأ عيونها: تنظر بآخير أعينها.

من قصيدة النابغة

(كليني لهم)

- ١- كليني لهم يا أميمة ناصب
- ٢- تطاول حتى قلت: ليس بمنقض
- ٣- وصدر أراح الليل عازب هممه
- ٤- عليّ لعمرو نعمة بعد نعمة
- ٥- وثقت له بالنصر إذ قيل قد غزت
- ٦- بنو عمه دنيا وعمرو بن عامر
- ٧- إذا ما غزوا في الجيش حلق فوقهم
- ٨- يصاحبهم حتى يغرن مغارهم
- ٩- لهم عليهم عادة قد عرفنها
- ١٠- على عارفات للطعان عوايس
- ١١- إذا استنزلوا عنهم للطعن أرقلوا
- ١٢- ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم
- ١٣- ثورت من أزمان يوم حليمة
- ١٤- تفد السلوقي المضاعف نسجه
- ١٥- لهم شيمة لم يعطها الله غيرهم
- ١٦- رفاق النعال طيب حزارتهم
- ١٧- يصونون أجساداً قديماً نعيمها
- ١٨- ولا يحسبون الخير لا شر بعده
- ١٩- حبوت بها غسان إذ كنت لاحقاً
- وليل أقاسيه بطيئ الكواكب
- وليس الذي يرعى النجوم بأيب
- تضاعف فيه الحزن من كل جانب
- لوالديه ليست بذات عقارب
- كتائب من غسان غير أشائب
- أولئك قوم بأسهم غير كاذب
- عصائب طير تهدي بعصائب
- من الضاريات بالدماء الدوارب
- إذا عرض الخطي فوق الكواكب
- بهن كلوم بين دام وجالب
- إلى الموت إرقال الجمال المصاعب
- بهن فلول من قراع الكتائب
- إلى اليوم قد جربن كل التجارب
- وتوقد بالصفاح نار الحباب
- من الجود، والأحلام غير عوارب
- يحيون بالريحان يوم السباب
- بخالصة الأزدان خضر المناكب
- ولا يحسبون الشر ضربة لأرب
- بقومي وإذ أعيت عليّ مذهب

مناسبة القصيدة:

كان النابغة الذبياني من شعراء المناذرة حكام الحيرة بل إنه من الشعراء المقدمين عند النعمان بن المنذر ملك الحيرة بدليل أن النعمان كافأه على بعض قصائده بمئة ناقة، فأخذ الشعراء الآخرون وغيرهم من جلساء الملك يحسدونه على مكانته ويسعون بالوشاية عند الملك، وفي هذه الأثناء حدثت حرب بين الغساسنة ملوك الشام وقبيلة ذبيان التي ينتسب لها الشاعر، وقد انهزمت ذبيان وقتل منها رجال وأسر آخرون وسييت النساء فرأى النابغة أن مدح الغساسنة في تلك الظروف التي تحيط بقبيلته أمر مهم، فانتقل إليهم وأقام عندهم وقال فيهم قصائد منها قصيدته التي بين أيدينا.

شرح الأبيات:

- (١) كليبي: دعيني. أميمة: ابنته. ناصب: متعب. بطيئ الكواكب: نجومه تسير سيراً بطيئاً.
المعنى: دعيني يا بنتي لهومي المتعبة واطر كيني أقاسي هذا الليل الطويل الذي لا تسير نجومه إلى المغيب وإنما هي تتأقل في اتجاهها إلى مغاربها.
- (٢) الذي يرعى النجوم: الصباح. آيب: راجع
المعنى: لقد زاد طول ليلي حتى ظننت أن ليس له نهاية وأبطأ الصباح في الظهور حتى ظننت أنه لن يرجع إلى عاداته في تبديد الظلام.
- (٣) العازب: الذي يبيت بعيداً عن أهله.
المعنى: لقد رد هذا الليل على صدري الهموم التي نسيته في النهار فتجمعت في صدري فتضاعف الحزن والألم والأسى بين ضلوعي؛ لأن الليل يجمع الهموم والنهار يفرقها.
- (٤) ذات عقارب: ذات أذى.
المعنى: لقد منّ عليّ عمرو بخيرات كثيرة وأعطاني والده مثلها وهي خيرات لا يخالطها أذى ولا تتبعها منة.
- (٥) أشائب: أخلاط.
المعنى: لقد تيقنت من انتصار الملك على أعدائه؛ لأن جيشه يشتمل على أبناء الغساسنة دون غيرهم؛ فذلك الجيش لا يجمع أخلاطاً من القبائل وإنما هو مقتصر على غسان.

(٦) تلك الكتائب التي يتألف منها الجيش إنما هي مؤلفة من بني عم الملك الأقربين الذين هم آل حنفة ومن أبناء جده الأعلى المعروف بعمر بن عامر.

(٧) عصائب: جمع عصابة وهي الجماعة.

المعنى: إذا سار جيش الغساسنة للغزو فإنه يطير فوقه مجموعات من الطيور الكاسرة فإذا رآها الطيور الأخرى تبعتها فهي تنتظر القتلى من أعدائهم.

(٨) الضاريات: المتعودات، الدوارب: المدربة.

المعنى: إن تلك الطيور الجارحة تصاحب جيش الغساسنة، فإذا أغار الجيش على الأعداء ومزق أجسادهم فإن تلك الطيور تنقض على الأجساد المطروحة على الأرض.

(٩) الخطي: الرماح المنسوبة إلى بلدة الخط (القطيف) في شرقي المملكة العربية السعودية. الكواثب: جمع كاثبة وهي ملتقى الرقبة بالكنف.

المعنى: لقد اعتادت تلك الطيور على مرافقة ذلك الجيش، فعندما ترى الرماح قد عرضت على كواثب الخيول فإنها تعرف مقصد ذلك الجيش.

(١٠) عوابس: أصل العبوس تقطيب ما بين العينين. كلوم: جروح. الجالب: اليابس.

المعنى: إن ذلك الجيش قد أخذ عدته، وفرسانه يمتطون الخيول الصابرة المتعودة على الحرب، فالجرب ليست جديدة عليها بدليل أن الجروح جديدها وقديمها تتخلل أجسام تلك الخيول.

(١١) أرقلوا: عدوا وأسرعوا. المصاعب: جمع مصعب وهو الفحل الذي لم يذل.

المعنى: إن أولئك الفرسان ينزلون عن خيولهم إذا اقتضى الأمر ذلك، فهم يسرعون إلى طعن أعدائهم كما تعدو الجمال المطلقة من القيود.

(١٢) فلول: ثلوم.

المعنى: إذا أردت أن أبحث عن عيب في الغساسنة فإنني لن أجده، فعييهم الوحيد هو تثلوم سيوفهم بسبب كثرة المعارك التي يخوضونها، وذلك ليس عيباً وإنما هو شرف لهم.

(١٣) حليلة: هي حليلة بنت الحارث بن أبي شمر الغساني.

المعنى: إن تلك السيوف مجربة منذ القديم فهي متوارثة من جيل إلى جيل، وقد حارب بها الأبطال الذين انتصروا على المناذرة في ذلك اليوم المعروف بيوم حليلة.

(١٤) تقد: تشق. السلوقي: الدرع المنسوب إلى سلوق قرية باليمن. الصفاح: الحجارة ويقصد بها خوذات الجنود. الجاحب: ذباب يطير في الليل فيشع منه النور.

المعنى: إن تلك السيوف تشق الدروع السلوقية المتقنة الصنع، وتري من يشهد المعركة النار تقدح والشرر يتطاير عندما تضرب خوذ الخصوم..

(١٥) شيمة: طبيعة وخلق. الأحلام: العقول. عواذب: غائبة..

المعنى: إن أخلاق الغساسنة فاضلة وعقولهم حاضرة عند الملومات والنوازل وهذه الصفات لا تتوافر في غيرهم من الناس.

(١٦) حجازهم: الحجرة معقد الإزار. الرياحان: نبت طيب الرائحة. السباسب: عيد من أعيادهم.

المعنى: إن أولئك القوم ينتعلون النعال الرقيقة فهم لا يمشون كثيراً، وهم أصحاب عفة يصونون أنفسهم عن المحرمات، وفي يوم عيدهم يلاقون بالرياحين العطرة.

(١٧) الأردان: الأكمام. المناكب: جمع منكب وهو الكتف.

المعنى: والغساسنة يحفظون أجسامهم بما يلبسون من الثياب الفاخرة، تلك الثياب التي تتصف ببياض الأكمام واخضرار الكتفين.

(١٨) اللازب: اللازم.

المعنى: عندما يصيب الغساسنة خيراً فإنهم لا يغترون، وعندما يصيبهم شر فإنهم لا يجزعون منه فهم ينتظرون زواله.

(١٩) جبوت: أعطيت وأهديت. أعيت عليّ مذهب: ضاقت وسدت.

المعنى: إنني أقدم هذه القصيدة هدية للغساسنة؛ لأنني أراهم أحق الناس بمدحي في هذه الظروف التي أجبرتني على اللحاق بقومي حين انسدت عليّ الطرق.

مناقشة

- ١- كان لموت والد امرئ القيس أثر في حياته وفي شعره، وضح هذا الأثر.
- ٢- ما الأغراض التي تناولها امرؤ القيس في شعره؟
- ٣- قيل "أشعر الناس امرؤ القيس إذا ركب، والنابعة إذا رهب". اشرح هذا القول.
- ٤- الاعتذار غرض برز فيه النابعة الذبياني. فمن من كان يعتذر؟ وما سبب ذلك الاعتذار؟.

زهير بن أبي سلمى

حياته:

ولد زهير ونشأ في (الحاجر^(١)) حيث تقيم أسرته بجوار بني مرة من ذبيان، وأسرته من مزينة وليست من غطفان، فوالده أبو سلمى هو ربيعة بن رياح بن قرّة بن الحارث من مزينة، ثم من مضر، وقد توفي ربيعة والد زهير فكفل زهيراً خاله بشامة بن الغدير، وكان ثرياً فنشأ زهير في بيت ثراء وغنى، وعندما توفي خاله ترك مالا كثيراً فكان لزهير نصيب من ذلك المال. وقد أقام زهير في بلاد الحاجر ولم يرحلها إلى غيرها، فلم يفد على الملوك كما كان يصنع النابغة أو الأعشى، ومع ذلك فإنه عاش عيشة تتسم بالرخاء، وكان له صلة بسيدي بني مرة وهما هرم بن سنان والحارث بن عوف فكان يمدحهما فيعطيهما، وقد جمع مالا وفيراً، وله صلة بحصن بن حذيفة الفزاري. وهذه العلاقات مع زعماء ذبيان جعلت لزهير مكانة مرموقة في البلاد التي عاش فيها، وقد توفي زهير سنة ١٣ ق هـ.

شعره:

أخذ زهير بن أبي سلمى الشعر عن خاله بشامة بن الغدير وعن أوس بن حجر زوج أمه وطفيل الغنوي، ولذلك فقد اجتمع في شعره الطبع والصنعة؛ أما الطبع فيدل عليه وجود شعراء في أسرة الشاعر، فوالده ربيعة شاعر وخاله بشامة بن الغدير شاعر وأخته الخنساء شاعرة^(٢) وأخته سلمى شاعرة وابنه كعب شاعر وابنه بجير شاعر، وأما الصنعة فإنه عَلم كيف يصنع الشعر، وقد استفاد من ذلك فجاء شعره جامعاً بين الصنعة والطبع. وقد عدّ زهير من عبید الشعر فهو يصنع القصيدة ثم يقيها عنده سنة يبدئ ويعيد فيها حتى تكتمل فيذيعها في الناس بعد ذلك؛ ولذلك عرفت قصائده بالحواليات، والمنقحات والمحكمات، وقد قال عمر بن الخطاب في زهير: "زهير لا

(١) الحاجر يقع بالقرب من عقلة الصقور من الناحية الشمالية الغربية.

(٢) الخنساء أخت زهير ليست هي الخنساء الشاعرة المشهورة أخت صخر.

يتبع حوشي^(١) الكلام ولا يعاقل في المنطق ولا يقول إلا ما يعرف ولا يمدح الرجل إلا بما فيه"، وقد قال زهير الشعر في أغراض كثيرة منها: المدح والغزل والوصف والحكمة.

المدح:

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في زهير: "كان لا يمدح الرجل إلا بما فيه" ومعنى ذلك أن مدح زهير بعيد عن الإسراف والمبالغة، فقد مدح رجلين حقاً الدماء وتحملاً أموالاً كثيرة، قيل إنها ثلاثة آلاف بعير، والرجلان هما هرم ابن سنان المُرِّي الذبياني والحارث بن عوف المري الذبياني، وفي الواقع أن هذين الرجلين يستحقان المدح فإذا عرفنا أن حرب داحس والغبراء قد شردت بني عبس فانتقلوا من بلادهم وأخذوا يجاورون القبائل الأخرى وأهكت تلك الحرب ذبيان فقتل فيها حذيفة بن بدر وأخوه حَمَل، وإذا علمنا ذلك تبين لنا أن من سعى في إيقاف تلك الحرب يستحق المدح، ومما قال زهير فيهما:

سعى ساعيا غَيِظَ بنِ مُرَّةٍ بعد ما	تَبَزَّلَ ما بين العشيرة بالدم ^(٢)
فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله	رجالاً بَنَوُهُ من قُريشٍ وجُزْهُم
يميناَ لنعم السَّيِّدانِ وُجِدْتُمَا	على كُلِّ حالٍ من سَحِيلٍ ومُبْرَم ^(٣)
تداركتما عَبْساً وذُبْيَانَ بعد ما	تَفَانَوْا ودُقُّوا بينهم عِطْرَ مَنْشِمٍ ^(٤)
وقد قلتما إن تُدْرِكِ السِّلْمَ واسعاً	بمالٍ ومعروفٍ من الأمر نَسْلَم
فأصبحتما منها على خير مَوْطِنٍ	بَعِيدَيْنِ فيها من عُقُوقٍ ومَأْتَم
عظيمين في غُلْيَا مَعَدٍّ هُدَيْتُمَا	ومن يستبج كنزاً من المجد يَعْظُم

(١) حوشي الكلام: غريبه. يعاقل: يدخل بعضه في بعض فلا يعرف. قول عمر رضي الله عنه في الشعر والشعراء ١٣٧/١.

(٢) الساعيان هما هرم بن سنان والحارث بن عوف وهما من ولد غيظ بن مرة. تبزل: تشقق.

(٣) السحيل: الذي لم يحكم قتله، والمبرم الذي أحكم قتله.

(٤) منشم: عطار يبيع الكافور للموتى فإذا خرج المتحاربون اشتروا منه كافوراً لموتاهم

الحكمة:

زهير بن أبي سلمى هو حكيم الشعراء فإذا قرأنا معلقته وجدنا آخرها حكماً متتالية، وهذا يدل على قدرته البارعة في استخلاص الحكمة من تجارب العرب وتراثهم. ومن الحكم الواردة في المعلقة قوله:

وأعلم ما في اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غد عم

وقوله:

ومن هاب أسباب المنايا يتلنه ولو رام أسباب السماء يسلم

وقوله:

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدّم

ولزهير حكم في غير المعلقة من ذلك قوله:

تزوّد إلى يوم الممات فائنه ولو كرهته النفس آخر موعد

وقوله:

فإن الحق مقطعه ثلاث يمين أو نفاً أو جلاء^(١)

وشعر زهير يعطينا صورة واضحة لما وصل إليه الشعر الجاهلي من الإتيان والجودة، فأسلوبه محكم النسيج، ومعانيه مستخلصة من ثمار تجارب العرب، فهو بحق خاتمة مشرفة للشعر الجاهلي.

(١) النفار: المنافرة إلى شيوخ القبائل للحكم. الجلاء: انكشاف الأمر. والبيت في ديوان زهير ص ٦٦.

أبيات من معلقة زهير بن أبي سلمى في الحكمة

- ١- سئمتُ تكاليف الحياة ومن يعيش
- ٢- وأعلم ما في اليوم والأمس قبله
- ٣- رأيت سفاه الشيخ لا حلم بعده
- ٤- ومن لا يصانع في أمور كثيرة
- ٥- ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله
- ٦- ومن لا يدّد عن حوضه بسلاحه
- ٧- ومن هاب أسباب المنايا يتلّنه
- ٨- ومن يعص أطراف الرّجاج فائنه
- ٩- ومن يوف لا يذمم ومن يفض قلبه
- ١٠- ومن يجعل المعروف من دون
- ١١- ومن يجعل المعروف في غير أهله
- ١٢- ومن يعترب يحسب عدواً صديقه
- ١٣- ومن لا يرلّ يسترّجل الناس نفسه
- ١٤- ومهما تكن عند امرئ من خليفة
- ثمانين حولاً لا أبالك يسأم
- ولكنني عن علم ما في غد عم
- وإنّ الفتى بعد السفاهة يخلّم
- يضرّس بأنياب ويوطأ بمنسم
- على قومه يستغن عنه ويذمم
- يهدّم ومن لا يظلم الناس يظلم
- ولو رام أسباب السماء يسلم
- يطيع العوالي ركبت كلّ لهذم
- إلى مطمئن البر لا يتجمّم
- يفره ومن لا يتق الشتم يشتم
- يعدّ حمده ذماً عليه ويندم
- ومن لم يكرم نفسه لم يكرم
- ولا يغفها يوماً من الذلّ يسأم
- وإن خالها تخفى على الناس تعلّم

المناسبة:

كان زهير بن أبي سلمى المزني نازلاً في بني مرة من ذبيان، وقد نشبت حرب ضروس بين ذبيان وعبس عرفت بحرب داحس والغبراء اصطلى زهير بنارها هو وغيره من بني ذبيان وقد استمرت تلك الحرب عشرات من السنين، وقد مالت عبس في نهاية تلك الحرب إلى السلم ووافق ذلك رغبة من بني مرة الذيبانيين، فسعى رجالان فاضلان في الصلح بين عبس وذبيان، والرجلان

هما هرم بن سنان والحارث بن عوف، فجمعا الديات التي بلغت ثلاثة آلاف بعير، فأعجب زهير بهذين الرجلين ومدحهما بقصيدة طويلة هي معلقته، وقد ختمها بهذه الحكم التي أوردناها والتي بحث معظمها على الصلح.

شرح الأبيات:

- (١) سئمت: مللت. تكاليف: جمع تكلفة وهي المشقة. لقد مللت مشقة الحياة وتعبها، ومن عاش مثلي ثمانين سنة لا بد أنه سيسأم البقاء في هذه الدنيا.
- (٢) إن علمي مربوط بما رأيته في الماضي وما أراه في وقتي الحاضر، وأما المستقبل فإنه محجوب عني فكأنني بالنسبة له الأعمى الذي لا يبصر ما أمامه.
- (٣) عندما يصاحب السفه شاباً فإنه يمكن تقويمه، وأما الشيخ عندما يصاحبه السفه فمن الصعب تقويمه وتعديله.
- (٤) يضرس: يعرض. المنسم: طرف خف البعير. لا بد من مداراة الناس في كثير من الأمور، ومن لم يفعل ذلك فسوف يصله الأذى والشر وربما ناله البطش.
- (٥) من أعطاه الله الغنى والمال فبخل به ولم ينفقه في وجوهه بل حفظه ولم يعط القريب فإن ذلك القريب سيستغني، وسيصل الدم ذلك المانع لماله.
- (٦) من تجرأ الناس على حقوقه فنالوا منها، ولم يستطع منعهم فإنهم سيستبيحون ما بقي منها لأن الناس لا تردعهم إلا القوة وقوله "ومن لا يظلم الناس يظلم" نظرة جاهلية.
- (٧) أسباب: نواحي. إن من خاف من الموت لن ينفعه ذلك، ولو حاول الهروب إلى السماء، لأن الموت سيلاقيه لا محالة.

(٨) الزجاج: جمع زُجّ وهو أسفل الرمح العوالي: جمع عالية وهي أعلى الرمح التي يكون فيها السنان. اللهزم: الحاد.

إن من عارض الصلح سيصطلي بنار الحرب، وسوف تناله السنان الحادة التي تمزق جسده
(٩) يفض: يصبر ويطمئن. لا يتجمجم: لا يتردد في الصلح.
إن من أوفى بما وعد به لن يصل إليه الدم ومن اطمأن قلبه إلى طريق البر والخير فإنه لن يتردد
في تنفيذ الصلح ونبذ الحرب.
(١٠) يفره: لا ينقصه.

إن من أراد أن يكون عرضه مصوناً فعليه ببذل المعروف، أما من يعرض نفسه للسبب فإن
الدم سيصله.

(١١) والبازل للمعروف يجب عليه أن يضعه في من يستحقه لأن بذل المعروف في غير أهله لا
يعقبه إلا الذم وندامة باذله.

(١٢) إن الغريب قد يغتر بالناس فيظن أعداءه أصدقاء له، وإن من أذل نفسه فقد أتاح لغيره أن
يذله ويستصغر شأنه.

(١٣) إن من جعل نفسه عالية على الناس لا يتعفف ولا يترفع وإنما يرمي بنفسه في مواضع الإهانة،
ومن كانت هذه صفته فإن الناس سيملونه.

(١٤) خليقة: طبيعة.

إن طبيعة الإنسان وسجيته التي جبل عليها لا بد أن تظهر للناس مهما حاول صاحبها
إخفاءها.

مناقشة

- ١ - اشتهر زهير بن أبي سلمى بالحوليات. فما المقصود بهذه التسمية؟
- ٢ - من أشهر ممدوحى زهير، وما مناسبة مدحه لهم؟
- ٣ - "زهير حكيم الشعراء". اشرح هذا القول.

النثر الجاهلي

النثر هو كلام اختيرت ألفاظه، وانتقيت تراكيبه، وأحسن صياغة عباراته، بحيث يؤثر في المستمع عن طريق جودة صناعته. فهو يختلف عن الكلام العادي الذي يتكلم به الناس في شؤونهم العادية.

وأنواع النثر الجاهلي هي: الخطابة والأمثال والحكم والقصص وسجع الكهان. والخطابة من أبرز أنواع النثر في العصر الجاهلي، وتتلوها من ناحية الأهمية: الأمثال؛ لانتشارها بين عامة الناس وخاصتهم ولهذا سيكون الحديث التالي عن هذين النوعين من النثر.

الخطابة

الخطابة كلام جيد المعاني متين الأسلوب مؤثر في من يستمع إليه، يخاطب به جمهور من الناس، بهدف استمالاته إلى رأي معين، أو إقناعه بفكرة، أو إرشاده إلى طريق يسير فيه، أو منعه من الانحراف في ضلالة. والخطبة شائعة بين الناس في العصر الجاهلي؛ لأنهم يحتاجون إليها في حياتهم العامة وأكثر ما تقال في أماكن اجتماعاتهم مثل الأسواق أو اجتماعهم لحرب.

دواعيها:

دواعي الخطابة في العصر الجاهلي كثيرة ومتنوعة، ومنها:

- ١- حث المقاتلين على القتال في الحرب. كما فعل هانئ بن مسعود الشيباني في يوم ذي قار.
- ٢- تهنئة الملوك. كما فعل عبد المطلب بن هاشم في تهنئة سيف بن ذي يزن عندما طرد الأحباش من اليمن.
- ٣- التفاخر بين أحياء العرب.
- ٤- الدعوة إلى السلم عندما تمل الحرب.
- ٥- التعزية والنصح والإرشاد.

أسلوبها:

أسلوب الخطبة في الجاهلية يغلب عليه السجع، فالخطبة تتكون من جمل قصيرة مسجوعة متوازنة وهذا ما نجده في خطبة قس بن ساعدة الإيادي في سوق عكاظ وفي خطبة عبد المطلب بن هاشم أمام سيف ابن ذي يزن، وفي خطبة هانيء بن مسعود الشيباني في يوم ذي قار. وقد تنهج الخطبة أسلوباً مرسلاً لا يقيده السجع ولا التوازن ولا الجمل القصيرة.

صفات الخطيب:

لا يتصدى للخطابة إلا من ملك زمام الفصاحة وكان ثابت الجنان، حاضر البديهة، ويمدح الخطيب بجهارة الصوت، ووضوح الكلام، وعدم التلفت، ويعاب بالتنحنح والارتعاش، والخصر والعِي^(١) والتعثر في الكلام، وكثرة مسه للحيته وشاربه. ومن عادة الخطيب أن يخطب واقفاً أو يخطب وهو على راحلته، وإذا خطب واقفاً اختار مرتفعاً من الأرض واتكأ على عصا، ومن عادة الخطيب أن يضع العمامة على رأسه.

والخطيب له مكانة ومنزلة أعلى من منزلة الشاعر، ذلك أن الشاعر قد يتكسب بشعره كما يفعل النابغة والمتلمس وطرفة والأعشى، وأما الخطيب لا يكتسب بخطبته كما يفعل الشاعر. ومن خطباء الجاهلية هاشم بن عبد مناف، وابنه عبد المطلب، وزهير بن جناب، وقيس بن خازمة بن سنان، وأكثم بن صيفي، وقس بن ساعدة، وهانيء بن مسعود الشيباني، وحاجب بن زرارة، والحارث بن عبّاد البكري.

(١) الخصر والعِي: عدم القدرة على الكلام أو التوقف عنه وعدم الإبانة فيه.

نماذج من الخطابة

١ - خطبة عبد المطلب بن هاشم أمام سيف بن ذي يزن بمناسبة طرد الأحباش من اليمن:

"إن الله تعالى أيها الملك أَحَلَّكَ مَحَلًّا رَفِيعًا، صَعْبًا مَنِيعًا، بَاذِخًا شَامِخًا^(١). وَأَنْبَتَكَ مِنْبَتًا طَابَتْ أَرْوَمُتُهُ وَعَزَتْ جُرْثُومَتُهُ^(٢)، وَبُئِلَ أَصْلُهُ وَبَسَقَ فَرْعُهُ^(٣)، فِي أَكْرَمِ مَعْدَن^(٤)، وَأَطْيَبِ مَوْطِنٍ، فَأَنْتَ - أَبَيْتِ اللَّعْنَ^(٥) - رَأْسَ الْعَرَبِ وَرَبِيعِهَا الَّذِي بِهِ تَخْصِبُ، وَمَلِكُهَا الَّذِي بِهِ تَنْقَادُ، وَعَمُودُهَا الَّذِي عَلَيْهِ الْعِمَادُ، وَمَعْقِلُهَا الَّذِي إِلَيْهِ يَلْجَأُ الْعِبَادُ، سَلَفُكَ خَيْرُ سَلَفٍ، وَأَنْتَ لَنَا بَعْدَهُمْ خَيْرُ خَلْفٍ، وَلَنْ يَهْلِكَ مِنْ أَنْتَ خَلْفُهُ، وَلَنْ يَخْمَلَ مِنْ أَنْتَ سَلْفُهُ، نَحْنُ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَهْلُ حَرَمِ اللَّهِ وَذِمَّتِهِ، وَسَدَنَةِ^(٦) بَيْتِهِ، أَشْخَصْنَا إِلَيْكَ الَّذِي أَهْجَكَ لِكَشْفِ الْكَرْبِ الَّذِي فَدَحْنَا^(٧)، فَنَحْنُ وَفَدُ التَّهْنِئَةِ لَا وَفُودَ الْمَرْزُوءَةِ^(٨).

٢ - خطبة قس بن ساعدة الإيادي^(٩) في سوق عكاظ:

"أيها الناس اسمعوا وعوا: من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت ليل داج^(١٠)، ونهار ساج^(١١)، وسماء ذات أبراج، ونجوم تزهـر، وبحار تزخر، وجبال مرساة، وأرض

(١) باذخ وشامخ: عال.

(٢) الأرومة والجرومة: الأصل.

(٣) بسق: طال وعلا.

(٤) المعدن: المكان الطيب.

(٥) أبیت اللعن: أبیت أن تأتي ما يستدعي لعنك فأنت شريف.

(٦) سدنة بيته: خدام بيته.

(٧) فدحنا: الفادحة: النازلة، وفدحنا: كان ثقیلاً علينا.

(٨) المرزئة: المصيبة وقد تكون المصيبة في المال. والخطبة في العقد الفريد ٢٤/٢.

(٩) هو قس بن ساعدة بن عمرو من بني إیاد من حکماء العرب وخطبائهم، توفي سنة ٢٣ ق هـ.

(١٠) داج: مظلم.

(١١) ساج: ساكن دائم.

مُدْحَاة، وَأَنْهَارِ مَجْرَاة. إِنْ فِي السَّمَاءِ لَخَبِيرٌ، وَإِنْ فِي الْأَرْضِ لَعَبِيرٌ، مَا بَالُ النَّاسِ يَذْهَبُونَ فَلَا
يَرْجِعُونَ، أَرْضُوا بِالْمُقَامِ فَأَقَامُوا، أَمْ تَرَكُوا فَنَامُوا؟ يَقْسِمُ قَسٌّ بِاللَّهِ قَسْمًا لَا إِثْمَ فِيهِ: إِنْ لِلَّهِ دِينًا هُوَ
أَرْضَى لَهُ وَأَفْضَلَ مِنْ دِينِكُمْ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ، إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ مِنَ الْأَمْرِ مِنْكَرًا. ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ:
فِي الدَّاهِيَيْنِ الْأُولَى ————— نَّ مِنَ الْقُرُونِ لَنَا بَصَائِرُ
لَمَّا رَأَيْتُ مَوَارِدًا ————— لِلْمَوْتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرُ
وَرَأَيْتُ قَوْمِي نَحْوَهَا ————— يَمْضِي الْأَكْبَابُ وَالْأَصَاغِرُ
لَا يَرْجِعُ الْمَاضِي إِلَى ————— يَّ وَلَا مِنَ الْبَاقِينَ غَايِرُ^(١)
أَيَقْنَتُ أَنْي لَا مُحَالَةً ————— لَةَ حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَائِرُ

٣ - خطبة أكتثم بن صيفي^(٢) أمام كسرى:

" إِنْ أَفْضَلَ الْأَشْيَاءِ أَعَالِيهَا، وَأَعْلَى الرِّجَالِ مَلُوكُهَا، وَأَفْضَلَ الْمُلُوكِ أَعْمَهَا نَفْعًا، وَخَيْرَ الْأَزْمَنَةِ
أَخْصَبَهَا، وَأَفْضَلَ الْخُطَبَاءِ أَصْدَقُهَا. الصَّدَقُ مَنْجَاةٌ، وَالْكَذِبُ مَهْوَاةٌ، وَالشَّرُّ لُجَاجَةٌ^(٣)، وَالْحَزْمُ
مَرْكَبٌ صَعْبٌ، وَالْعَجْزُ مَرْكَبٌ وَطِيءٌ^(٤). آفَةُ الرَّأْيِ الْهَوَى، وَالْعَجْزُ مِفْتَاحُ الْفَقْرِ، وَخَيْرُ الْأُمُورِ
الصَّبْرُ. إِصْلَاحُ فِسَادِ الرِّعْيَةِ خَيْرٌ مِنْ إِصْلَاحِ فِسَادِ الرَّاعِي، مَنْ فَسَدَتْ بَطَانَتُهُ كَانَ كَالْغَاصِّ بِالْمَاءِ.
شَرُّ الْبِلَادِ بِلَادٌ لَا أَمِيرَ بِهَا، وَشَرُّ الْمُلُوكِ مَنْ خَافَهُ الْبَرِيُّ، أَفْضَلُ الْأَوْلَادِ الْبَرَّةُ، وَخَيْرُ الْأَعْوَانِ مَنْ لَمْ
يَرَأَ بِالنَّصِيحَةِ، أَحَقُّ الْجُنُودِ بِالنَّصْرِ مِنْ حَسَنَتِ سَرِيرَتِهِ، يَكْفِيكَ مِنَ الزَّادِ مَا بَلَغَكَ الْحُلَّ، حَسْبُكَ
مِنْ شَرِّ سَمَاعِهِ، الصَّمْتُ حُكْمٌ^(٥) وَقَلِيلٌ فَاعْلُهُ، الْبَلَاغَةُ الْإِيْجَازُ، مَنْ شَدَّدَ نَفْرًا وَمَنْ تَرَاخَى تَأَلَّفَ.

(١) الغاير: الباقي.

(٢) هو أكتثم بن صيفي بن رياح بن الحارث التميمي عاش في الجاهلية وأدرك الإسلام ورحل قاصداً الرسول صلى الله عليه وسلم وتوفي في

الطريق سنة ٩ هـ يعد من المعمرين.

(٣) اللجاجة: تمادي الخصمين في الكلام.

(٤) وطىء: لين سهل.

(٥) الحكم: الحكمة.

الأمثال

الأمثال أقوال سائرة بين الناس تُشَبَّه فيها أحوال منظورة مشاهدة بأحوال سابقة لها، والذي يجمع بين الحال السالفة والحال القائمة هو المماثلة بينهما أي المشابهة.

ويهدف المثل إلى التعليم أو التنبيه أو التذكير، فالصغير والجاهل يتعلم بواسطة الأمثال، والكبير ينتبه إذا سمع المثل فيسترشد به، والغافل يتذكر ما مضى من حوادث التاريخ، والذي يسهل التعليم بواسطة الأمثال أن الأمثال تُحَفَظ بسهولة.

والأمثال تصور تجارب العرب في حياتهم الاجتماعية والسياسية والعقلية، فهي حصيلة تاريخ طويل بجميع فروعهِ وتشعباته. كما أنها تصور البيئة الجاهلية لأنها تُنقل بلفظ لا يتغير، ولذلك فهي لون أدبي يتميز بالبقاء على صورته التي قيل فيها.

وتعد الأمثال مرآة لحياة الأمة بجميع طبقاتها، فهي لا تمثل عقلية طبقة معينة، وإنما تمثل عقليات الأمة جميعها لأنها تصدر من أي إنسان، بخلاف الحكمة فإنها لا تصدر إلا عن مفكر أو حكيم، وتكون وليدة التفكير وثمره التجربة، وتهدف إلى النصيح والإرشاد والحث على التحلي بمكارم الأخلاق.

ويغلب على الأمثال التوازن والسجع وإصابة المعنى وحسن التشبيه، وهي تكون في النثر وتكون في الشعر ولكنها في النثر أكثر.

والأمثال ماثورة في كتب الأدب ودواوين الشعراء وكتب التاريخ؛ فإذا قرأنا في كتاب البيان والتبيين للجاحظ وجدناه يشتمل على كثير من الأمثال، وكذلك كتاب الكامل للمبرد، والعقد الفريد لابن عبد ربه، وكتاب الأملاني لأبي علي القالي، وكتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني.

ومن أشهر كتب الأمثال المطبوعة والمندولة: (جمهرة الأمثال) لأبي هلال العسكري، و(مجمع الأمثال) للميداني، وهو يشتمل على اثني عشر ألف مثل منها أمثال قيلت في العصر الجاهلي وأمثال قيلت في العصر الإسلامي.

ومن أمثال العرب في الجاهلية:

- ١ - اسْتَنَوَقَ الْجَمْلُ.
(يَضْرِبُ مَثَلًا لِلرَّجُلِ الْوَاهِنِ الرَّأْيَ الْمُخْلَطَ فِي كَلَامِهِ).
- ٢ - أَنْ تَرَدَّ الْمَاءُ بِمَاءٍ أَكْيَسٍ.
(يَضْرِبُ مَثَلًا لِلْأَخْذِ بِالثِّقَةِ وَالِاحْتِيَاظِ).
- ٣ - أَيُّ الرِّجَالِ الْمَهْذَبِ!
(يَضْرِبُ مَثَلًا لِلرَّجُلِ يَعْرِفُ بِالْإِصَابَةِ فِي الْأُمُورِ ثُمَّ تَكُونُ مِنْهُ السَّقْطَةُ).
- ٤ - لَا يَطَاعَ لِقَصِيرٍ أَمْرٍ.
(يَضْرِبُ مَثَلًا لِلرَّجُلِ الْخَامِلِ يَقُولُ الرَّأْيَ الْحَكِيمَ وَلَا يَقْبَلُ مِنْهُ).
- ٥ - تَسْمَعُ بِالْمُعِيدِ لَا أَنْ تَرَاهُ.
(يَضْرِبُ مَثَلًا لِمَنْ يَكُونُ أَمْرُهُ مَشْهُورًا وَلَكِنْ هَيْئَتُهُ لَا تَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ).
- ٦ - تَحْتَ الرَّغْوَةِ الصَّرِيحُ^(١).
(يَضْرِبُ مَثَلًا لِلْأَمْرِ تَظْهَرُ حَقِيقَتُهُ بَعْدَ خَفَائِهَا).
- ٧ - خَلَا لَكَ الْجَوْ فَبِيضِي وَاصْفَرِي.
(يَضْرِبُ لِمَنْ يُخَلِّي بَيْنَهُ وَبَيْنَ حَاجَتِهِ).
- ٨ - رُبَّ أَخٍ لَكَ لَمْ تَلِدْهُ أُمُّكَ.
(يَضْرِبُ مَثَلًا لِإِعَانَةِ الرَّجُلِ صَاحِبِهِ وَانْخِرَاطِهِ فِي سُلُوكِهِ حَتَّى كَأَنَّهُ أَخُوهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ).

(١) الصريح: اللبن الصافي الخالص من الشوائب.

٩ - الصيفَ ضَيَّعَ اللبن.

(يضرب مثلاً لمن يضيع الأمر ثم يريد استدراكه بعد فوات الأوان).

١٠ - القولُ ما قالتْ حذام.

(يضرب مثلاً في تصديق الرجل صاحبه، وصواب رأيه).

١١ - ويلٌ للشَّحِيٍّ من الخَلِيٍّ^(١).

(يضرب لسوء مشاركة الرجل لصاحبه).

١٢ - ما كلُّ سوداءَ تمرّة ولا كلُّ بيضاءَ شحمة.

(يضرب في موضع التهمة وعدم وضوح الأمر).

ومن الأمثال ما ينسب لأشخاص مثل: أسخى من حاتم، أشجع من ربيعة بن مكدم، أدهى

من قيس بن زهير، أعز من كليب وائل، مواعيد عرقوب، صحيفة المتلمس.

(١) الشحِيّ: المشغول أو الحزين المهموم. والخَلِيّ: الفارغ.

مناقشة

- ١ - عرف الخطابة، واذكر دواعيها في العصر الجاهلي.
- ٢ - اذكر أشهر خطباء العرب في الجاهلية.
- ٣ - ما الصفات التي ينبغي أن توجد في الخطيب؟
- ٤ - ما أهم خصائص الخطبة في العصر الجاهلي؟
- ٥ - عرف الأمثال، وإلام تهدف؟
- ٦ - اذكر ستة من أمثال العرب، مع ذكر مَنْ تضرب له.



توزيع المقرر للفصل الدراسي الثاني

ملحوظات	الموضوعات	الأسبوع وتاريخه
١٤٤٠ ١٤٤١ ١٤٤٢	الأدب في عصر صدر الإسلام، أثر الإسلام في اللغة والأدب، أثر القرآن في اللغة والأدب، أثر الحديث في اللغة والأدب	الأول من / / ١٤٤٠هـ
	الشعر في عصر صدر الإسلام، موقف الإسلام منه، أغراضه.	الثاني من / / ١٤٤٠هـ
	خصائص الأدب في عصر صدر الإسلام. قراءة قصيدة النابغة الجعدي (خليلي..). وتوضيحها. (حفظ ستة أبيات منها)	الثالث من / / ١٤٤٠هـ
	حسان بن ثابت (حياته وشعره وأغراض شعره) قراءة قصيدة حسان في رثاء الرسول ﷺ (بطيية رسم للرسول) وتوضيحها (حفظ سبعة أبيات منها)	الرابع من / / ١٤٤٠هـ
١٤٤٠ ١٤٤١ ١٤٤٢	كعب بن زهير (حياته وشعره وأغراض شعره). قراءة قصيدة كعب بن زهير في مدح الأنصار وتوضيحها. (حفظ ستة أبيات منها)	الخامس من / / ١٤٤٠هـ
	النثر في صدر عصر الإسلام. الخطابة والرسالة. قراءة خطبة الرسول ﷺ في الخيف. (حفظ الخطبة)	السادس من / / ١٤٤٠هـ
	الأدب في العصر الأموي، الشعر وأغراضه (السياسي، المدح، الهجاء، النقائض)	السابع من / / ١٤٤٠هـ
	اختبار منتصف الفصل الدراسي الثاني.	الثامن من / / ١٤٤٠هـ
١٤٤٠ ١٤٤١ ١٤٤٢	شعر الفتوح والدعوة الإسلامية، خصائص الشعر الأموي.	التاسع من / / ١٤٤٠هـ
	جرير (حياته وشعره وأغراض شعره). قراءة قصيدة جرير في مدح عبد الملك (أتصحو أم فؤادك). (حفظ خمسة أبيات منها)	العاشر من / / ١٤٤٠هـ
	الفرزدق (حياته وشعره وأغراض شعره). قراءة قصيدة الفرزدق في وصف الذئب (وأطلس عسال). (حفظ خمسة أبيات منها).	الحادي عشر من / / ١٤٤٠هـ
	النثر في العصر الأموي (الخطابة، الرسائل).	الثاني عشر من / / ١٤٤٠هـ
١٤٤٠ ١٤٤١ ١٤٤٢	دراسة أدبية لرسالة عبد الحميد الكاتب إلى الكُتَّاب (حفظ الرسالة)	الثالث عشر من / / ١٤٤٠هـ
	مراجعة ما حفظ من الشعر والنثر	الرابع عشر من / / ١٤٤٠هـ
	مراجعة عامة	الخامس عشر من / / ١٤٤٠هـ

الأدب في عصر صدر الإسلام

أثر الإسلام في اللغة والأدب:

كانت حياة العرب في الجاهلية تقوم على الجهل الذي هو التناول والبغي والإشراك بالله وعبادة الأصنام وإتيان الفواحش.. إلى غير ذلك من مظاهر الجاهلية.

فجاء الإسلام وغيّر هذه الحياة الجاهلية وأخرج العرب من الظلمات إلى النور، وأثر في حياتهم تأثيراً كبيراً، ورسم لهم طريقاً جديداً، ونبذ طريقهم القديم.

والأدب بشعره ونثره مظهر من مظاهر الحياة المختلفة، أثر فيه الإسلام كما أثر في غيره من نواحي الحياة، واللغة هي المعبرة عن الأدب فلا يمكن أن نتصور أدباً من دون لغة، وبناء على ذلك فإن اللغة تأثرت بالإسلام تأثراً ملموساً في طرق التعبير المختلفة سواء كان ذلك في المفردات أو في التراكيب أو في البناء العام.

وقد رقق الإسلام ألفاظ اللغة وأبعدها عن الجفاء والغلظة، كما حول أساليبها إلى العذوبة والسلاسة. وقد أسهم المسلمون من غير العرب في رقي أدب اللغة العربية فبرز شعراء وخطباء وكتّاب أسهموا بنصيب كبير في توسع الأدب وتعدد أغراضه.

وبما أن الإسلام جاء بفكر جديد يحتاج إلى شرح وتوضيح فقد برزت الخطابة بأساليبها الجديدة، كما توسع كتّاب الرسائل في التفنن في أساليبهم، وبرزت المناظرات بفنونها الأدبية والبلاغية، فأثر الإسلام في اللغة والأدب ظاهر وجلي.

أثر القرآن في اللغة والأدب

جمع القرآن العرب على لغة قريش فتحلوا عن لهجاتهم، كما غير عقلية العربي وغط تفكيره، ورقق عاطفته وأسلوبه فأصبح يختار من الكلمات أليّنها ومن الأساليب أسهلها، وأخذ يتعد عن الكلمات الجافية الغليظة.

وقد شاعت الكلمات الإسلامية في اللغة مثل: الصلاة، الزكاة، الصيام، الحج، القيام، الركوع، السجود، الوضوء، المؤمن، الكافر، الإيمان، الفرقان، الإشراك، النفاق.

وقد اهتم المسلمون بعلوم العربية ليحفظوا القرآن من اللحن، ومن تلك العلوم: النحو والصرف واللغة، وذلك الاهتمام بتلك العلوم إنما هو بتأثير القرآن. كما عني المسلمون بعلوم البلاغة من بيان ومعان وبديع ليبينوا إعجاز القرآن، ولاشك أن ذلك الاهتمام أثرى اللغة العربية وطور أساليبها.

وقد حفظ القرآن الكريم اللغة العربية فبقيت لغة حية على مر العصور بالإضافة إلى أنه هو الذي أتاح لها أن تنتشر في أنحاء المعمورة، فالمسلمون يحفظون القرآن ويتلونه في صلواتهم على مدار اليوم والليلة وإن كانوا من غير العرب.

وقد تأثر الأدباء بأسلوب القرآن الكريم واقتفوا أثره حتى أصبحت أساليبهم تقتبس منه، فمنها ما تأثر به كثيراً ومنها ما هو دون ذلك. وأما معاني الأدباء فقد وسعها القرآن لأنهم يأخذون من معان لا تنفد، فلو تتبعنا الشعر والخطب والرسائل لوجدنا أن معانيها لا تبعد عما اشتمل عليه القرآن، وقد اعتمد الخطيب والكاتب على القرآن الكريم في الاستشهاد على كلامه وبذلك أصبحت الآيات القرآنية مصدراً مهماً لدعم الخطبة أو الرسالة، وكلما كان ذلك الاستشهاد مناسباً كان ذلك الكلام أكثر تأثيراً في النفس.

أثر الحديث في اللغة والأدب

أسهم الحديث بجانب القرآن الكريم في نشر اللغة العربية وتعليمها للمسلمين من غير العرب لأنهم أصبحوا يحفظون الأحاديث. ثم نشأت الدراسات المعتمدة على الحديث، من شرح له وتوضيح غريبه والبحث في رجال سنده، وتلك الدراسات وسعت دائرة اللغة في الاشتقاق وشرح الغريب بلفظ مرادف وتوضيح المعاني بتفنيقها إلى معان جزئية ليسهل فهمها.

وقد شاعت ألفاظ وتعبيرات في اللغة العربية بعد أن تناقل الناس أحاديث الرسول ﷺ منها: "هَدَنَةُ عَلَى دَخَنٍ وَجَمَاعَةٌ عَلَى أَقْدَاءٍ"^(١). "الآن حمي الوطيس"^(٢). "لا يلسع المؤمن من جحر مرتين". وإذا كانت الألفاظ التي يستعملها الأديب المسلم في أدبه هي من خيار ما يحفظ من النصوص فإن ألفاظ الأحاديث الشريفة وتراكيبه وتعبيراته برزت في الأدب الإسلامي لأنها من محفوظات الأدباء سواء كانوا خطباء أو شعراء أو كتّاباً، فقد رقت ألفاظهم وعذبت أساليبهم.

والأدب إنما هو ألفاظ مختارة، وتراكيب متقنة، وأساليب مجودة، ومعان مؤثرة، فإذا بحث الأديب عما يعينه في صنع أدبه فلا شك أن الحديث الشريف يعد مصدره الثاني بعد القرآن الكريم، فالشعراء وسعوا معارفهم عن طريق حفظ الحديث وروايته والاستفادة من ألفاظه وتعبيراته ومعانيه، فهو مصدر إلهام لهم يستمدون منه معانيهم ويعتمدون عليه في ثقافتهم الإسلامية، والخطباء استفادوا من معاني الحديث وأساليبه فاستقامت ألسنتهم وقويت حججهم. والكتّاب يستمد كثيراً من موضوعاته من الحديث، فهو يدعم رسالته ومعانيه وبعبارة أحياناً. وبناء على ما تقدم يظهر لنا أن أثر الحديث في اللغة والأدب ملحوظ في لغة الأديب، وفي أسلوبه ومعانيه.

(١) دخن: حقد. والأقْدَاء: جمع قذى ويقصد به الضرر الذي يصير عليه صاحبه حتى يستطيع أخذ حقه من خصمه.

(٢) الوطيس: التنور، ويراد به اشتداد الحرب.

الشعر في عصر صدر الإسلام

موقف الإسلام من الشعر:

عندما بعث الرسول ﷺ كان في مكة عدد من الشعراء، وبعد هجرته ﷺ إلى المدينة تطاول شعراء المشركين على الرسول والمسلمين فاضطر شعراء الأنصار إلى الدفاع عن الإسلام مثل حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحه، وقد دفعت هذه الخصومة شعراء مكة إلى الإكثار من الشعر. ومن شعراء مكة عبد الله بن الزبيري، وضرار بن الخطاب، وأبو سفيان بن الحارث.

أما الشعراء الذين دخلوا في الإسلام من غير شعراء مكة والمدينة فقد قل شعرهم أو توقف، ومن هؤلاء لبید بن ربيعة العامري، وكعب بن زهير، وذلك يعود إلى ورع الشعراء وعدم إطلاق العنان لألسنتهم، فالإسلام نفّر من الشعر السيئ ولكنه لم يحرم الشعر فقد ورد في القرآن الكريم: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ﴿٢٢٧﴾ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٨﴾﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُبِينٌ﴾^(٢).

وقد ورد في الحديث: "لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً خيراً له من أن يمتلىء شعراً"^(٣).

ففي الآية الأولى لا نجد تحريماً للشعر، والحديث الشريف ينفر من الشعر السيئ، أي إنه لا يحرم الشعر بدليل قول الرسول ﷺ: "إن من الشعر حكمة"^(٤)، وقوله ﷺ: "أصدق كلمة قالها

(١) سورة الشعراء الآيات من ٢٢٤ إلى ٢٢٧.

(٢) سورة يس، آية ٦٩.

(٣) البخاري ٤٥/٨ ط دار الشعب.

(٤) البخاري ٤٢/٨.

شاعر كلمة ليبد: "ألا كل شيء ما خلا الله باطل" (١).

وقد قال ﷺ لحسان: "اهجهم أو هاجهم وجبريل معك" (٢). وكان ﷺ يسمع الشعر من وفود العرب، وربما رضي عن المذنب بسبب شعره كما حصل لكعب بن زهير عندما ألقى قصيدته: "بانت سعاد" بين يدي الرسول ﷺ. ومن خلال ما تقدم يتضح لنا أن المحرم من الشعر هو ما أتى بالشرك، وصرف عن الإسلام أو خالف مبادئه، أما غير ذلك فلم يرد فيه تحريم.

أغراض الشعر في عصر صدر الإسلام

أغراض الشعر في هذا العصر لا تكاد تختلف عن الأغراض التقليدية للشعر فيما عدا شعر الدعوة الإسلامية والفتوح.

لكن المعاني التي تحتويها هذه الأغراض تختلف عن معانيها في العصر الجاهلي وفيما يلي توضيح ذلك

المدح:

يهدف المدح في هذا العصر إلى الإشادة بالإسلام ورسول الإسلام، فليس هدف المدح طلب المال كما كان يفعل الجاهليون، وإنما هدفه رفع راية الإسلام والدعاية له حتى يدخل العرب فيه، وخير ما يمثل ذلك قول عبد الله بن رواحة:

يا هاشمَ الخيرِ إنَّ اللهَ فضَّلَكُم
على البريةِ فضلاً ما له غيرُ (٣)

إني تفرَّستُ فيكَ الخيرَ أعرفُهُ
فِرَاسَةً خالفتُهُم في الذي نَظَرُوا

(١) البخاري ٤٤/٨.

(٢) البخاري ٤٥/٨.

(٣) الغير: التغيير.

وَلَوْ سَأَلْتِ أَوْ اسْتَنْصَرْتِ بَعْضَهُمْ فِي جُلِّ أَمْرِكَ مَا آوُوا وَمَا نَصَرُوا^(١)
فَنَبَّيْتُ اللَّهَ مَا آتَاكَ مِنْ حَسَنِ تَنَبَّيْتُ مُوسَى وَنَصَرًا كَالَّذِي^(٢)

ومن أجمل ما قيل في مدح الرسول ﷺ قصيدة (بانت سعاد) التي ألفها كعب بن زهير بين
يدي الرسول ﷺ، ومن أبيات تلك القصيدة قوله:
إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مُهَيَّئٌ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ مَسْلُورٌ

وَمَدَحَ النَّابِغَةَ الْجَعْدِي الرَّسُولَ ﷺ فَقَالَ:
أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ إِذْ جَاءَ بِالْهُدَى وَيَتْلُو كِتَابًا كَالْمَجْرَةِ نَيْرًا^(٣)

فهؤلاء الشعراء لم يمدحوا الرسول بالكرم والشجاعة كما كان سائداً عند شعراء المدح في
الجاهلية، وإنما مدحوه بما جاء به من الهدى والنور والقرآن بالإضافة إلى شجاعته ﷺ وكرمه؛
فمعاني المدح في الإسلام تختلف عن معاني المدح في الجاهلية.
وبعد وفاة الرسول ﷺ قل شعراء المدح وأصبح المدح ليس غرضاً للشعراء فالأبيات التي
قيلت في مدح الخلفاء الراشدين قليلة إذا قيست بالأعمال التي قاموا بها.

الهجاء:

استعرت نار الهجاء بين شعراء مكة وشعراء المدينة بعد هجرة الرسول ﷺ من مكة، والمعاني
التي ترد في هجاء شعراء المدينة هي معان مختلفة، فقد يستعمل الشاعر المعاني المألوفة؛ من رمي
خصمه بالهروب من المعركة والجبن، وقد يستعمل الشاعر المعاني الجديدة من رمي المهجو بالكفر
والشرك، وكان حسان رضي الله عنه يكثر من المعاني التقليدية في الهجاء، وكان لذلك أثر كبير في
من يهجوهم.

وبعد فتح مكة تضاعف الهجاء ولم يكن له شأن كبير وكان الخلفاء الراشدون يمنعون الشاعر
من سب الناس والتعرض لأعراضهم.

(١) بعضهم: بعض قريش.

(٢) نصروا: يقصد الرسل. والأبيات في طبقات فحول الشعراء ٢٢٦/١.

(٣) الأغاني ٩/٥.

الحماسة:

الشعر الحماسي في الإسلام صَاحَبَ الدعوة الإسلامية منذ فجرها، فهو الشعر الذي يشجع المقاتلين من المسلمين على القتال ويعتز بانتصارات المسلمين على الأعداء، ومن الشعراء الذين كان لهم نصيب في هذا الشأن كعب بن مالك، فله أشعار حماسية في كثير من غزوات الرسول ﷺ؛ فمن ذلك قوله في معركة أحد:

فَجَنَّا إِلَى مَوْجٍ مِنَ الْبَحْرِ وَسَطُهُ	أَحَابِيْشُ مِنْهُمْ حَاسِرٌ وَمُقَتَّعٌ ^(١)
ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَنَحْنُ نَصِيَّةٌ	ثَلَاثُ مِائِينَ إِنْ كُنْزْنَا وَأَرْبَعُ ^(٢)
فَرَاخُوا سَرَاعاً مُوجِفِينَ كَأَنَّهُمْ	جَهَامٌ هَرَاقَتْ مَاءَهُ الرِّيحُ مُقْلَعٌ ^(٣)
وَرُحْنَا وَأَخْرَانَا بِطَاءٍ كَأَنَّنَا	أَسُودٌ عَلَى لَحْمٍ بَيْبِشَةٍ ظُلَّعٌ ^(٤)

وقال عبد الله بن رواحة في يوم مؤتة بعد أن قُتِلَ صاحبه زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب:

أَقْسَمْتُ يَا نَفْسُ لَتَنْزِلَنَّ	طَائِعَةً أَوْ لَا لَتُكْرَهَنَّ
وَطَالَمَا قَدْ كُنْتَ مُطْمَئِنَّةً	مَالِي أَرَاكَ تَكْرَهِيْنَ الْجَنَّةَ

الثناء:

الثناء من الأغراض التي كان لها شأن في زمن النبي ﷺ والخلفاء الراشدين، فالحروب مستعرة، والفتن تتهدد المسلمين، وفقد الرجال يصحب تلك الحروب وتلك الفتن. ومن أهم ما قيل في الثناء في هذه الفترة قول حسان في رثاء الرسول ﷺ:

بِطِيبَةِ رَسْمٍ لِلرَّسُولِ وَمَعْهَدُ مِنْيَرٍ وَقَدْ تَغْفُو الرُّسُومُ وَتَهْمَدُ

(١) أحابيش: أحلاف قريش.

(٢) نصية القوم: خيارهم.

(٣) موجفين: مسرعين. الجهام: السحاب الخفيف الذي أفرغ ماءه.

(٤) ببشة: المدينة المعروفة في الجنوب الغربي من المملكة وكانت الأسود تكثر فيها.

وهي قصيدة طويلة، وله قصيدة أخرى مطلعها:

مَا بَالُ عَيْنِكَ لَا تَنَامُ كَأَنَّمَا كُحِّلَتْ مَاقِفُهَا بِكُحْلِ الْأَرَمَدِ

ويقول فيها:

يَارَبِّ فَاجْمَعْنَا مَعاً وَنَبِيَّنَا فِي جَنَّةٍ تَنْثِي عُيُونَ الْحُسَدِ
صَلَّى إِلَهِهِ وَمَنْ يَخْفُ بِعَرْشِهِ وَالطَّيِّبُونَ عَلَى الْمُبَارَكِ أَحْمَدِ

وقال عبد الله بن رواحة يرثي حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنهما:

بَكَتْ عَيْنِي وَحُقَّ لَهَا بُكَاهَا وَمَا يُغْنِي الْبُكَاءُ وَلَا الْعَوِيلُ
عَلَى أَسَدِ الْإِلَهِ غَدَاةً قَالُوا أَحْمَزَةُ ذَاكُمُ الرَّجُلُ الْقَتِيلُ
عَلَيْكَ سَلَامُ رَبِّكَ فِي جَنَانٍ مُخَالِطُهَا نَعِيمٌ لَا يَزُولُ

وقد رُثِيَ الخلفاء الراشدون بمراث كثيرة فمما قيل في أبي بكر قول حسان رضي الله عنهما:

إِذَا تَذَكَّرْتَ شَجَوًّا مِنْ أَخِي ثِقَةً فَإِذَا تَذَكَّرْتَ شَجَوًّا مِنْ أَخِي ثِقَةً
وَكَانَ حَبَّ رَسُولِ اللَّهِ قَدْ عَلِمُوا مِنْ الْبَرِيَّةِ لَمْ يَعْدِلْ بِهِ رَجُلًا

ومن خير ما قيل في رثاء عمر رضي الله عنه قول جرء بن ضرار الديباني:

جَزَى اللَّهُ خَيْرًا مِنْ أَمِيرٍ وَبَارَكْتَ يَدُ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْأَدِيمِ الْمَمْرُوقِ^(١)
فَمَنْ يَسْنَعُ أَوْ يَرْكَبُ جَنَاحِي نَعَامَةٍ لِيُذْرِكَ مَا حَاوَلْتَ بِالْأُمْسِ يُسْبِقُ
فَضَيْتَ أُمُورًا ثُمَّ غَادَرْتَ بَعْدَهَا بَوَائِقُ فِي أَكْمَامِهَا لَمْ تَقْتَقِ^(٢)
وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ وَفَاتُهُ بِكَفِّي سَبَنْتِي أُرْزَقِ الْعَيْنِ مُطْرَقِ^(٣)

وقد رثى أيمن بن حريم بن فاتك الأسدي عثمان بن عفان فقال:

ضَحَوْا بِعُثْمَانَ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَلَمْ يَخْشَوْا عَلَى مَطْمَحِ الْكَفِّ الَّذِي طَمَحُوا
مَاذَا أَرَادُوا أَضَلَّ اللَّهُ سَعْيَهُمْ مِنْ سَفْحِ ذَاكَ الدِّمِّ الزَّاكِي الَّذِي سَفَحُوا

(١) الأدم: الجلد.

(٢) بوائق: غوائل. أكمامها: جمع كم وهو وعاء الثمر.

(٣) السبنتي: الثمر أو هو مأخوذ من الإسبات وهو السكون والهدوء. الأبيات في طبقات فحول الشعراء ١٣٣/١.

إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَتْلَهُ سَفَهًا لَأَقْوَىٰ أَثَامًا وَخُسْرَانًا فَمَا رَجَحُوا^(١)

أما رثاء علي بن أبي طالب فهو كثير، نختار منه قول أبي الأسود الدؤلي:
أَفِي شَهْرِ الصَّيَامِ فَجَعَنْمُونَا بِخَيْرِ النَّاسِ طُرّاً أَجْمَعِينَ
قَتَلْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَخَيْرَ مَنْ رَكِبَ السَّفِينَا^(٢)
لَقَدْ عَلِمْتَ فُرَيْشَ حَيْثُ حَلَّتْ بِأَنْفِكَ خَيْرُهَا حَسَباً وَدِيناً

وإذا نظرنا في معاني الرثاء وجدناها تجمع بين المعاني القديمة من مدح للميت بالشجاعة وتحمل المسؤوليات، والمعاني الجديدة حيث يطلب الشاعر للميت الرحمة ودخول الجنة ويمدحه بحبة رسول الله له، ومن معاني الرثاء إظهار الأسف لعدم التكافؤ بين القاتل والمقتول ومدح الميت بالتدين.

شعر الدعوة والفتوح الإسلامية:

حث الإسلام على الدعوة إلى الله كما حث على قتال المشركين. نجد ذلك في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، وقد التزم المسلمون بالدعوة إلى الله والجهاد في سبيله كل بحسب طاقته وبحسب الوسائل المتاحة له، فالمسلم الشجاع يقاتل بسيفه، والشاعر يحمس المسلمين المجاهدين بشعره، وقد ساهم الشعراء في الدعوة إلى الله بأشعارهم كما فعل حسان وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة، فكان شعر هؤلاء خير وسيلة إعلامية للإسلام في ذلك الوقت، فإشادتهم بانتصارات المسلمين في بدر وثباتهم في أحد وصمودهم في الخندق كل ذلك فيه إشارات واضحة بأن المسلم مُعانٍ في قتاله وأن المشرك يسير في طريق الضلال، والشعراء الذين دخلوا في الإسلام متأخرين أسهموا في الدعوة إلى الله، فشعر بجير بن أبي سلمى أثر في أخيه كعب فأسلم، والأبيات التي أرسلها بجير إلى أخيه كعب يدعوه فيها إلى الإسلام هي:

إِلَى اللَّهِ لَا الْعِزَّى وَلَا اللَّاتِ وَحْدَهُ فَتَنْجُو إِذَا كَانَ النِّجَاءُ وَتَسْلَمُ
لَدَى يَوْمٍ لَا يَنْجُو وَلَيْسَ بِمَفْلَتٍ مِنَ النَّارِ إِلَّا طَاهِرُ الْقَلْبِ مُسْلِمُ

(١) الكامل ٢/ ٧٣٨.

(٢) خيسها: ذلها. والأبيات في الأغاني ٣٢٩/١٢.

فَدَيْنُ زُهَيْرٍ وَهُوَ لَا شَيْءَ بَاطِلٌ وَدَيْنُ أَبِي سُلَمَى عَلَيَّ مُحَرَّمٌ

وقد لام كعب أخاه بجيراً بعد سماعه لإسلامه وعرض به وبالمسلمين، فأهدر الرسول الكريم دمهُ، ولكنه قدم بعد ذلك إلى الرسول ﷺ واعتذر وأسلم، وأنشده قصيدته التي عرفت فيما بعد بالبردة، وقبل الرسول ﷺ اعتذاره، وأعجب بشعره وأهداه بردته الشريفة.

وقد خرج الصحابة إلى القتال تاركين زوجاتهم وأبناءهم الكبار في السن وأمهاتهم، وقد صاحب تلك المواقف أشعار مؤثرة تنبئ عن عمق العقيدة في النفس وتغلغلها في الوجدان، ومن الأشعار التي سجلت بعض المواقف قول النابغة الجعدي يخاطب زوجته حين اعترضت على خروجه، يقول النابغة:

بَاتَتْ تُذَكِّرُنِي بِاللَّهِ قَاعِدَةً وَالْدمْعُ يَنْهَلُ مِنْ شَأْنَيْهِمَا سَبَلًا^(١)
يَا بِنْتَ عَمِّي كِتَابُ اللَّهِ أَخْرَجَنِي كُرْهًا وَهَلْ أَمْنَعَنَّ اللَّهَ مَا فَعَلَا
فَإِنْ رَجَعْتُ قَرَبُ النَّاسِ يُرْجِعُنِي وَإِنْ لَحِقْتُ رَبِّي فَابْتَغِي بَدَلَا
مَا كُنْتُ أَعْرَجَ أَوْ أَعْمَى فَيَعْذِرُنِي أَوْ ضَارِعًا مِنْ ضَنْيَ لَمْ يَسْتَطِعْ^(٢)

وقد صاحب الشعرُ الفتوحَ الإسلامية في العراق وبلاد المشرق، وفي الشام ومصر وبلاد المغرب، وكله ينبئ عن الصبر وتحمل المشاق؛ من ذلك ما قاله بشر بن ربيعة الخثعمي في موقعة القادسية:

تَذَكَّرْ هَذَاكَ اللَّهُ وَقَعَ سُيُوفِنَا بِيَابِ قُدَيْسٍ وَالْمَكْرُ عَسِيرُ^(٣)
عَشِيَّةَ وَدَّ الْقَوْمُ لَوْ أَنَّ بَعْضَهُمْ يُعَارُ جَنَاحِي طَائِرٍ فَيَطِيرُ

(١) أسبل الدمع إذا انهمر والاسم السيل.

(٢) الضارع: النحيف. الضن: المرض. والآيات في الشعر والشعراء ١/ ٢٩٣.

(٣) قديس: موضع في القادسية.

إِذَا مَا فَرَعْنَا مِنْ قِرَاعِ كَنْيَبَةٍ دَلَفْنَا لِأُخْرَى كَالْجِبَالِ تَسِيرُ^(١)

تَرَى الْقَوْمَ فِيهَا وَاجِمِينَ كَأَنَّهُمْ جَمَالٌ بِأَحْمَالٍ لَهُنَّ زَفِيرُ^(٢)

وقد اشتهر من شجعان الفتوح شعراء جمعوا بين الشجاعة والشعر، ومن أشهر الشعراء الشجعان القعقاع بن عمرو التميمي، وعمرو بن معد يكرب الزبيدي. وإذا تتبعنا الموضوعات التي قيل فيها شعر الفتوح وجدناها تدور حول الحماسة والثناء، والحنين إلى الوطن.

(١) دلفنا: تقدمنا.

(٢) الوجوم: السكوت على غيظ. والأبيات في الأغاني ٢٤٣/١٥ وبشر بن ربيعة شاعر إسلامي ومن أشهر فرسان القادسية وقد منع سعد بن أبي وقاص عطائه؛ لأنه لا يحفظ القرآن فقال هذه الأبيات.

خصائص الشعر في صدر الإسلام

(أ) خصائص المعاني:

تختلف معاني الشعر في عصر صدور الإسلام عنها في العصر الجاهلي، ومن أهم ما يميز تلك المعاني ما يلي:

- ١ - تسخير معاني الشعر لخدمة العقيدة الإسلامية وتوسيع دائرة الإسلام.
- ٢ - اشتغال الشعر على كثير من معاني القرآن الكريم والحديث الشريف، فحسان رضي الله عنه أخذ معنى الآية الكريمة: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ وجعله في هذا البيت:
عَزِيزٌ عَلَيْهِ أَنْ يَحِيدُوا عَنِ الْهُدَى حَرِيصٌ عَلَى أَنْ يَسْتَفِيمُوا وَيَهْتَدُوا
- ٣ - الابتعاد عن التخبط، فالمعاني تسير في طريق رسمه القرآن ووضحه الرسول ﷺ.
- ٤ - التعبير عن تقوى الله وعن الورع الذي يملأ قلوب الشعراء. يقول بجير بن زهير بن أبي سلمى:

إِلَى اللَّهِ لَا الْعُزَّى وَلَا اللَّاتِ وَخُدَهُ فَتَنْجُو إِذَا كَانَ النِّجَاءُ وَتَسْلَمُ
لَدَى يَوْمٍ لَا يَنْجُو وَلَيْسَ بِمَقْلَبٍ مِنَ النَّارِ إِلَّا طَاهِرٌ وَالْقَلْبُ مُسْلِمٌ

على أن معاني الشعر الإسلامي لم تنفصل انفصلاً تاماً عن معاني الشعر الجاهلي فالمعاني التي أهملت في الإسلام هي المعاني التي نفاها الإسلام وأنكرها، أما المعاني التي لم ينفها الإسلام فإنها بقيت متداولة لدى الشعراء في عصر صدر الإسلام؛ فالمدح الخالي من المبالغة موجود عند كعب ابن زهير وحسان وغيرهما، والهجاء الذي يقلل من شأن الكفار وينفرهم من الحالة التي يعيشون فيها موجود عند شعراء الرسول ﷺ، والمعاني الحماسية التي تهدف إلى قتل الكفار وتنشيط المقاتلين من المسلمين موجودة أيضاً في الشعر الإسلامي.

(ب) خصائص الأسلوب:

كما اختلفت المعاني الشعرية في عصر صدر الإسلام، وتميزت عن العصر الجاهلي، فإن هذا الاختلاف شمل أسلوب الشعر أيضاً. وأهم ما يميز أسلوب الشعر في هذا العصر ما يلي:

- ١- التأثير بأسلوب القرآن الكريم والحديث الشريف.
- ٢- البعد عن الجفاء والغلظة في الأسلوب لوجود العاطفة الإسلامية الرقيقة، مثل الورع والتقوى ومحافة الله.
- ٣- سهولة الألفاظ حيث يفهمها عامة الناس.
- ٤- وجود ألفاظ جديدة في أساليب الشعراء في هذا العصر. مثل: الجنة، النار، الكفار، المشركون، الفاسق...
- ٥- البعد عن الصنعة والتكلف في معظم أساليب الشعر وألفاظه، فحسان عليه السلام يضطر إلى الرد على الوفود بشعر مرتجل، وعبد الله بن رواحة عليه السلام يرتجل في شعره، وخير شاهد على ذلك قوله:

خلوا بني الكفار عن سبيله خلو فكل الخير مع رسوله

مناقشة

- ١- ما أثر القرآن في اللغة والأدب؟
- ٢- تحدث عن بلاغة الحديث وأثره في اللغة والأدب.
- ٣- تحدث بإيجاز عن موقف الإسلام من الشعر.
- ٤- قارن بين غرضي المدح والهجاء في العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام.
- ٥- اذكر أهم ما يميز معاني الشعر في عصر صدر الإسلام.
- ٦- اذكر خصائص أسلوب الشعر في عصر صدر الإسلام.
- ٧- استحدث غرض جديد للشعر في عصر صدر الإسلام. اذكره، وتحدث عنه.

نماذج من الشعر في عصر صدر الإسلام

(١) قصيدة العباس بن مرداس (*) :

- | | |
|--|--|
| <p>١- لَعْمَرِي إني يَوْمَ أَجْعَلُ جَاهِداً
ضِمَاراً لربِّ العالمين مُشَارِكاً^(١)</p> <p>٢- وَتَرْكِي رَسُولَ اللَّهِ وَالْأَوْسَ حَوْلَهُ
أولئك أنصار له ما أولئك؟</p> <p>٣- كَتَّارِكِ سَهْلِ الْأَرْضِ وَالْحَزَنَ
لَيْسُ لَكَ فِي غَيْبِ الْأُمُورِ الْمَسَالِكَا</p> <p>٤- فَأَمَنْتُ بِاللَّهِ الَّذِي أَنَا عَبْدُهُ
وَحَالَفْتُ مِنْ أَمْسَى يُرِيدُ الْمَمَالِكَا</p> <p>٥- وَوَجَّهْتُ وَجْهِي نَحْوَ مَكَّةَ قَاصِداً
وَتَابَعْتُ بَيْنَ الْأَخْشَبَيْنِ الْمُبَارِكَا^(٢)</p> <p>٦- نَبِيٍّ أَتَانَا بَعْدَ عَيْسَى بِنَاطِقٍ
من الحق فيه الفصل منه كذلكا</p> <p>٧- أَمِيناً عَلَى الْفُرْقَانِ أَوَّلُ شَافِعٍ
وَأَخِرُ مَبْعُوثٍ يُجِيبُ الْمَلَائِكَا</p> <p>٨- تَلَأَى عَرَى الْإِسْلَامِ بَعْدَ انْفِصَامِهَا
فَأَحْكَمَهَا حَتَّى أَقَامَ الْمَنَاسِكَا</p> <p>٩- رَأَيْتُكَ يَأْخِيزُ الْبَرِيَّةَ كُلَّهَا
تَوَسَّطْتَ فِي الْقُرْبَى مِنَ الْمَجْدِ</p> <p>١٠- سَبَقَتْهُمْ بِالْمَجْدِ وَالْجُودِ وَالْعُلَا
وَبِالْغَايَةِ الْقُصُوى تَقُوتُ السَّنَابِكَا^(٣)</p> <p>١١- فَأَنْتَ الْمُصَفَّى مِنْ فُرَيْشٍ إِذَا سَمَتْ
غَلَاصِمُهَا تَبْغِي الْقُرُومَ الْفَوَارِكَا^(٤)</p> | <p>١- لَعْمَرِي إني يَوْمَ أَجْعَلُ جَاهِداً
ضِمَاراً لربِّ العالمين مُشَارِكاً^(١)</p> <p>٢- وَتَرْكِي رَسُولَ اللَّهِ وَالْأَوْسَ حَوْلَهُ
أولئك أنصار له ما أولئك؟</p> <p>٣- كَتَّارِكِ سَهْلِ الْأَرْضِ وَالْحَزَنَ
لَيْسُ لَكَ فِي غَيْبِ الْأُمُورِ الْمَسَالِكَا</p> <p>٤- فَأَمَنْتُ بِاللَّهِ الَّذِي أَنَا عَبْدُهُ
وَحَالَفْتُ مِنْ أَمْسَى يُرِيدُ الْمَمَالِكَا</p> <p>٥- وَوَجَّهْتُ وَجْهِي نَحْوَ مَكَّةَ قَاصِداً
وَتَابَعْتُ بَيْنَ الْأَخْشَبَيْنِ الْمُبَارِكَا^(٢)</p> <p>٦- نَبِيٍّ أَتَانَا بَعْدَ عَيْسَى بِنَاطِقٍ
من الحق فيه الفصل منه كذلكا</p> <p>٧- أَمِيناً عَلَى الْفُرْقَانِ أَوَّلُ شَافِعٍ
وَأَخِرُ مَبْعُوثٍ يُجِيبُ الْمَلَائِكَا</p> <p>٨- تَلَأَى عَرَى الْإِسْلَامِ بَعْدَ انْفِصَامِهَا
فَأَحْكَمَهَا حَتَّى أَقَامَ الْمَنَاسِكَا</p> <p>٩- رَأَيْتُكَ يَأْخِيزُ الْبَرِيَّةَ كُلَّهَا
تَوَسَّطْتَ فِي الْقُرْبَى مِنَ الْمَجْدِ</p> <p>١٠- سَبَقَتْهُمْ بِالْمَجْدِ وَالْجُودِ وَالْعُلَا
وَبِالْغَايَةِ الْقُصُوى تَقُوتُ السَّنَابِكَا^(٣)</p> <p>١١- فَأَنْتَ الْمُصَفَّى مِنْ فُرَيْشٍ إِذَا سَمَتْ
غَلَاصِمُهَا تَبْغِي الْقُرُومَ الْفَوَارِكَا^(٤)</p> |
|--|--|

(*) تعريف بالشاعر: هو العباس بن مرداس بن أبي عامر السلمى، شاعر فارس، وأمه الخنساء الشاعرة، أسلم في السنة التي فتحت فيها مكة، وقال هذه القصيدة عند ما دخل الإيمان قلبه وتوجه للرسول ﷺ، وقد توفي العباس في خلافة عمر سنة ١٨هـ.

(١) ضمار: صنم لبني سليم.

(٢) الأخشبان: جبلان بمكة، وهما أبو قبيس وقيقعان.

(٣) يعني مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر.

(٤) السنابك: حوافر الخيل.

(٥) الغلاصم: جمع غلصمة وهي أصل اللسان وتطلق على الجماعة أو السادة. والقروم: جمع قرم وهو السيد والفوارك: جمع فارك وهو المبعوض لزوجه. يريد أن نساءهم لا تلهيهم عن عظام الأمور. والقصيدة في الأغاني ١٤ / ٣٠٤.

(٢) قصيدة كعب بن زهير(*) (بانت سعاد):

- ١- بانت سعادُ فقلبي اليومَ مَتَبُولٌ مُتَيِّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُفَدَ مَكْبُولٌ^(١)
- ٢- وما سعادُ غداةَ البَيْنِ إِذْ رَحَلُوا إِلَّا أَعْنُ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولٌ^(٢)
- ٣- أُنْبِئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولٌ
- ٤- مهلاً هَدَاكَ الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةَ الْـ قُرْآنِ فِيهَا مَوَاعِيظٌ وَتَفْصِيلُ
- ٥- لَا تَأْخُذَنِي بِأَقْوَالِ الْوُشَاةِ وَلَمْ أُنْذِبْ وَإِنْ كَثُرَتْ فِي الْأَقَاوِيلِ^(٣)
- ٦- إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مُهْتَدٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُوكٌ^(٤)
- ٧- فِي عُصْبَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا زُؤَلُوا^(٥)
- ٨- زَالُوا فَمَازَالَ أَنْكَاسٌ وَلَا كُشْفٌ عِنْدَ اللَّقَاءِ وَلَا مِيلٌ مَعَازِيلُ^(٦)
- ٩- شَمُّ الْعَرَانِينَ أَبْطَالَ لَبُوسُهُمْ مِنْ نَسِجِ دَاوُدَ فِي الْهَيْجَا سَرَابِيلُ^(٧)
- ١٠- لَا يَفْرَحُونَ إِذَا نَالَتْ رِمَاحُهُمْ قَوْمًا وَلَيْسُوا مَجَازِيْعًا إِذَا نِيلُوا^(٨)
- ١١- لَا يَقَعُ الطَّعْنُ إِلَّا فِي نُحُورِهِمْ وَمَالَهُمْ عَنِ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلُ^(٩)

- (*) تعريف بالشاعر: كعب بن زهير هو ابن زهير بن أبي سلمى الشاعر المشهور في الجاهلية، وكعب من قبيلة مزينة إحدى قبائل مضر وقد مدح بهذه القصيدة النبي ﷺ أما وفاة كعب فهي في سنة ٢٦هـ.
- (١) بانت: بعدت وفارقت، وسعاد اسم امرأة. متبول: مصاب بتبل وهو الحلاك. متيم: مدلل. إثرها: بعدها. لم يفد: لم تقدم فدية لفكه من الأسر. مكبول: مقيد ومحبوس.
- (٢) البين: البعد والفرق. أغن: الأغن من الغزلان الذي في صوته غنة والغنة صوت يخرج من الخياشيم. غضيض الطرف: فاتره والغض: الكسر والفتور. مكحول: شديد سواد شعر الجفون.
- (٣) الوشاة: جمع واش وهو النمام الكاذب.
- (٤) مهتد: منسوب إلى الهند. مسلول: مخرج من جرابه.
- (٥) العصبة: الجماعة من الناس ما بين العشرة إلى الأربعين. زولوا: اذهبوا واخرجوا مهاجرين من مكة إلى المدينة.
- (٦) أنكاس: جمع نكس وهو الرجل الضعيف، الكشف: جمع أكشف وهو الذي لا ترس معه. ميل: جمع مائل وهو من لا يثبت على السرج. ومعازيل: جمع أعزل وهو من لا رمح معه.
- (٧) شم العرائن: شم: جمع أشم، والعرائن جمع عرنيين وهو الأنف. ومعنى أشم: عالي الأنف.. من نسج داود: يقصد الدروع لأن أول من صنعها داود. الهيجاء: الحرب. سرايل: جمع سربال وهو القميص أو الدرع والمقصود هنا الدرع.
- (٨) مجازيع: جمع مجزاع وهو الكثير الجزع.
- (٩) النحور: جمع نحر وهو أعلى الصدر. حياض الموت: ميادين الحرب. تهليل: نكوص وجبن وخوف. والقصيدة في جمهرة أشعار العرب ٧٨٨/٢.

(٣) قصيدة النابغة الجعدي (*) :

- ١- خَلِيلِيْ غُوجَا سَاعَةً وَتَهَجَّرَا وَلَوْ مَا عَلَى مَا أَخَذْتَ الدَّهْرُ أَوْ ذَرَا^(١)
- ٢- وَلَا تَجَزَّعَا إِنَّ الْحَيَاةَ قَصِيرَةٌ فَخَفَا لِرُؤُوعَاتِ الْحَوَادِثِ أَوْ قِرَا^(٢)
- ٣- وَإِنْ جَاءَ أَمْرٌ لَا تُطِيقَانِ دَفْعُهُ فَلَا تَجَزَّعَا مِمَّا قَضَى اللَّهُ وَاصْبِرَا
- ٤- أَلَمْ تَرَيَا أَنَّ الْمَلَامَةَ نَفَعَهَا قَلِيلٌ إِذَا مَا الشَّيْءُ وَلَّى وَأَدْبَرَا
- ٥- تَهِيْجُ الْبُكَاءِ وَالنَّدَامَةَ ثُمَّ لَا تُغَيِّرُ شَيْئاً غَيْرَ مَا كَانَ قُدْرَا
- ٦- أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ إِذْ جَاءَ بِالْهُدَى وَيَتْلُو كِتَاباً كَالْمَجْرَةِ نَيِّرَا^(٣)
- ٧- وَجَاهَدْتُ حَتَّى مَا أُجِسُّ وَمَنْ مَعِيَ سُهَيْلاً إِذَا مَا لَاحَ ثُمْتُ غَوْرَا
- ٨- أَقِيمْ عَلَى التَّقْوَى وَأَرْضَى بِفِعْلِهَا وَكُنْتُ مِنَ النَّارِ الْمَخُوفَةِ أَوْجَرَا^(٤)
- ٩- وَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكْدَّرَا
- ١٠- وَلَا خَيْرَ فِي جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَلِيمٌ إِذَا مَا أُوْرِدَ الْأَمْرَ أَصْدَرَا
- ١١- فَفِي الْحِلْمِ خَيْرٌ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ وَفِي الْجَهْلِ أَخْيَانًا إِذَا مَا تَعَدَّرَا

(*) تعريف بالشاعر: هو قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة الجعدي، وسمي النابغة، لأنه نبع في الشعر بعد أن بلغ ثلاثين سنة. وقد توفي بأصبهان سنة ٥٥٠هـ.

(١) تهجرا: سيرا في الهجرة وهي نصف النهار عند زوال الشمس إلى العصر. ذرا: مخففة من ذرا، وهي مرادفة لأحدث.

(٢) قرا: مصدرها الوقار وهو الرزانة والحلم.

(٣) المجرة: نجوم مجتمعة في السماء يصدر عنها نور.

(٤) أوجر: خائف.

(٤) قصيدة متمم بن نويرة(*) :

- ١- أَقُولُ وَقَدْ طَارَ السَّنَا فِي رَبَابِهِ بَجُونٍ يَسُحُّ الْمَاءَ حَتَّى تَرِيْعَا^(١)
- ٢- سَقَى اللَّهُ أَرْضاً حَلَّهَا قَبْرُ مَالِكٍ ذَهَابَ الْعَوَادِي الْمُدْجِنَاتِ فَأَمْرَعَا^(٢)
- ٣- تَحِيَّتُهُ مِنِّي وَإِنْ كَانَ نَائِيَاً وَأَمْسَى تُرَاباً فَوْقَهُ الْأَرْضُ بُلْقَعَا^(٣)
- ٤- فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ فَرَقْنَ بَيْنَنَا فَقَدْ بَانَ مُحَمَّدًا أَخِي يَوْمَ وَدَّعَا
- ٥- وَعِشْنَا بِخَيْرٍ فِي الْحَيَاةِ وَقَبْلَنَا أَصَابَ الْمَنَايَا رَهْطَ كِسْرَى وَتُبَّعَا
- ٦- فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكَاً لَطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ نَبْتَ لَيْلَةً مَعَا
- ٧- تَقُولُ ابْنَةُ الْعَمْرِيِّ: مَالِكُ بَعْدَمَا أَرَاكَ قَدِيمًا نَاعِمَ الْوَجْهِ أَفْرَعَا؟^(٤)
- ٨- فَقُلْتُ لَهَا: طُولُ الْأَسَى إِذْ سَأَلْتَنِي وَلَوْعَةُ حُزْنٍ تَتْرُكُ الْوَجْهَ أَسْفَعَا^(٥)
- ٩- وَفَقَدْ بَنِي أُمُّ تَوَلَّوْا وَلَمْ أَكُنْ خِلَافَهُمْ أَنْ أَسْتَكَينَ فَأَخْضَعَا
- ١٠- وَلَكِنِّي أَمْضِي عَلَى ذَاكَ مُقَدِّمًا إِذَا بَعْضُ مَنْ يَلْقَى الْخُطُوبَ تَضْغُضَعَا
- ١١- قَعِيدُكَ إِلَّا تُسْمِعِينِي مَلَامَةً وَلَا تَتَكَبَّرِي قَرَحِ الْفُؤَادِ فَيَبْجَعَا^(٦)
- ١٢- وَحَسْبُكَ أَنْيَ قَدْ جَهْدْتُ فَلَمْ أَجِدْ بِكَفِّي عَنْهُ لِلْمَنِيَّةِ مَدْفَعَا

(*) تعريف بالشاعر: هو متمم بن نويرة بن حمزة بن شداد، من بني يربوع من تميم، كان قصياً أعور وقد قال هذه القصيدة في رثاء أخيه مالك الذي قتل في حروب الردة. وقد توفي متمم سنة ٣٠هـ.

- (١) السننا: ضوء البرق. الرباب: السحاب. الجون: السحاب الأسود. تريع: تردد.
- (٢) الذهاب: جمع ذُهَبَة وهي المطرة الغزيرة. العوادي: التي تغدو بالمطر. المدجنات: السحاب التي تغطي السماء فلا يرى. أمرع: أحصب.
- (٣) أرض بلقع: لا أحد فيها ولا نبات.
- (٤) ابنه العمري: زوجته. الأفرع: الكثير شعر الرأس.
- (٥) أسفع: أسود ضارب إلى الحمرة.
- (٦) قعيدك: أصله قعيدك الله، كقولك نشدتك الله وهو من أيمان العرب. تنكبي: من قولهم نكأت القرحة إذا قشرتها. يبجع: لغة تميم، ولغة قريش: يوجع.

(هـ) قصيدة كعب بن مالك (*):

- ١- مَنْ مَبْلَغُ الْأَنْصَارِ عَنِّي آيَةً رُسُلًا تَقْصُّ عَلَيْهِمُ التَّبَيَّانَا
- ٢- أَنْ قَدْ فَعَلْتُمْ فَعْلَهُ مَذْكُورَةً كَسَتِ الْفُضُوحَ وَأَبَدَتِ الشَّنَانَا^(١)
- ٣- بِقُعُودِكُمْ فِي دُورِكُمْ وَأَمِيرِكُمْ تُخْشَى ضَوَاحِي دَارِهِ النَّيِّرَانَا
- ٤- بَيْنَا يُرَجَّى دَفْعُكُمْ عَنْ دَارِهِ مَلِئْتُ حَرِيقًا كَابِيًا وَدُخَانَا^(٢)
- ٥- حَتَّى إِذَا خَلَصُوا إِلَى أَبْوَابِهِ دَخَلُوا عَلَيْهِ صَائِمًا عَطْشَانَا
- ٦- يُغْلَوْنَ قُلَّتَهُ السُّيُوفَ وَأَنْتُمْ مُتَلَبِّثُونَ مَكَانَكُمْ رِضْوَانَا^(٣)
- ٧- اللَّهُ يَعْلَمُ أَتَنِي لَمْ أَرْضَهُ لَكُمْ صَنِيعًا يَوْمَ ذَاكَ وَشَانَا
- ٨- يَالْهَفَ نَفْسِي إِذْ يَقُولُ: أَلَا أَرَى نَفَرًا مِنَ الْأَنْصَارِ لِي أَعْوَانَا
- ٩- إِنِّي رَأَيْتُ مُحَمَّدًا اخْتَارَهُ صِهْرًا وَكَانَ يَعُدُّهُ خُلَصَانَا^(٤)
- ١٠- فَلَوْ أَنْكُمْ مَعَ نَصْرِكُمْ لِنَبِيِّكُمْ يَوْمَ اللَّقَاءِ نَصَرْتُمْ عُثْمَانَا
- ١١- أَنْسِيْتُمْ عَهْدَ النَّبِيِّ إِلَيْكُمْ وَلَقَدْ أَلْظَ وَوَكَّدَ الْأَيْمَانَا^(٥)

(*) تعريف بالشاعر: هو كعب بن مالك بن عمرو الخزرجي، وهو من شعراء النبي ﷺ ومن الذين أجدوا عثمان ودافعوا عنه، وقد ألقى هذه القصيدة التي يؤنب فيها الأنصار على تقاعسهم عن نصره عثمان ويؤنب فيها عثمان رضي الله عنه، ألقاها في مجلس الأنصار في مسجد الرسول ﷺ، فلما سمعوا ما قال بكوا واستغفروا الله، وقد توفي كعب سنة ٥٠هـ.

(١) الشنآن: البغضاء.

(٢) كابيًا: دخان وفحم. أي إن هذا الحريق الضخم اختلط دخانه بفحمه.

(٣) رضواناً: راضون.

(٤) الخلصان: الصديق الخالص.

(٥) أَلْظَ: ألح. والقصيدة في الأغاني ٢٢٨/١٦.

(٦) من قصيدة عبدة بن الطبيب (*):

- ١- بَنِيَّ إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ وَرَابَنِي
- ٢- فَلَيْنَ هَلَكْتُ لَقَدْ بَنَيْتُ مَسَاعِيًا
- ٣- ذَكَرْتُ إِذَا ذَكَرَ الْكَرَامُ يَزِينُكُمْ
- ٤- وَمَقَامُ أَيَّامٍ لَهْنٌ فَضِيلَةٌ
- ٥- وَلَهِي مِنَ الْكَسْبِ الَّذِي يُغْنِيكُمْ
- ٦- وَنَصِيحَةٌ فِي الصَّدْرِ صَادِرَةٌ
- ٧- أَوْصِيكُمْ بِتَقْيِ الْإِلَهِ فَإِنَّهُ
- ٨- وَبِزْرِ وَالدِّكْمِ وَطَاعَةِ أَمْرِهِ
- ٩- إِنَّ الْكَبِيرَ إِذَا عَصَاهُ أَهْلُهُ
- ١٠- وَدَعُوا الضَّغِينَةَ لَا تَكُنْ مِنْ شَأْنِكُمْ
- ١١- وَاعْصُوا الَّذِي يُرْجِي النَّمَائِمَ بَيْنَكُمْ
- ١٢- يُرْجِي عَقَارِبَهُ لِيَبْعَثَ بَيْنَكُمْ
- ١٣- حَرَّانَ لَا يَشْفِي غَلِيلَ فُؤَادِهِ
- ١٤- لَا تَأْمَنُوا قَوْمًا يَشِبُّ صَبِيُّهُمْ
- ١٥- فَضِلْتُ عَدَاوَتَهُمْ عَلَى أَحْلَامِهِمْ
- بَصْرِي، وَفِي لِمُصْلِحٍ مُسْتَمْتَعٍ
- تَبْقَى لَكُمْ مِنْهَا مَآثِرُ أَرْبَعُ
- وَوَرَاثَةُ الْحَسَبِ الْمُقَدَّمِ تَنْفَعُ
- عِنْدَ الْحَفِيزَةِ وَالْمَجَامِعِ تَجْمَعُ
- يَوْمًا إِذَا اخْتَصَرَ النَّفُوسَ
- الْمَاءُ دُمْتُ أَبْصِرُ فِي الرِّجَالِ
- يُعْطِي الرَّغَائِبِ مَنْ يَشَاءُ وَيَمْنَعُ
- إِنَّ الْأَبَرَ مِنَ الْبَنِينَ الْأَطْوَعُ
- ضَاقَتْ يَدَاهُ بِأَمْرِهِ مَا يَصْنَعُ
- إِنَّ الضَّغْنَانَ لِلْقَرَابَةِ تُوَضَّعُ
- مُتَنَصِّحًا، ذَاكَ السِّمَامُ الْمُنْقَعُ
- حَرْبًا كَمَا بَعَثَ الْعُرُوقَ الْأَخْدَعُ
- عَسَلٌ بِمَاءٍ فِي الْإِنَاءِ مُشْعَشَعُ
- بَيْنَ الْقَوَائِلِ بِالْعَدَاوَةِ يُنْشَعُ
- وَأَبَتْ ضَبَابُ صُدُورِهِمْ لَا تُنْزَعُ

(*) تعريف بالشاعر: عبدة بن يزيد (الطبيب) ابن عمرو، من قميم، شاعر مجيد، من مخضرمي الجاهلية والإسلام، كان شجاعاً، شهد الفتوح وقاتل الفرس مع المثنى بن حارثة والنعمان بن مقرن رضي الله عنه.

دراسة مُفصَّلة لبعض شعراء صدر الإسلام:

حسان بن ثابت

حياته:

حسان بن ثابت ينتسب إلى الخزرج فهو حسان بن ثابت بن المنذر من بني النجار أحوال النبي ﷺ ثم من الخزرج، والخزرج قبيلة قحطانية. ولد في يثرب قبل مولد الرسول ﷺ بثمان سنوات وعاش عمراً مديداً في الجاهلية.

وحسان شاعر مشهور في الجاهلية اتصل بالغساسنة ومدحهم وأخذ جوائزهم، واتصل بالمناذرة ومدحهم وأخذ جوائزهم، وقد كان بين الأوس والخزرج أيام مشهورة في الجاهلية ولذلك نجد حساناً يدافع عن الخزرج ويهجو الأوس. وبعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة كان حسان هو شاعر الإسلام الأول؛ فقد دافع عن الإسلام بلسانه دفاعاً مجيداً حتى أصبح زعيم المناقضات الشعرية بين المسلمين والمشركون. ويملك حسان حصناً وبستاناً في المدينة، وحصنه من أجود الحصون، وقد كان النبي ﷺ يضع أهله في حصن حسان عندما يخرج للغزو. وبعد وفاة الرسول ﷺ كان الصحابة يقدرونه ويجلونه جزاء ما قدم من الأعمال الصالحة في الدفاع عن الإسلام.

وقد عاصر حسان حروب الردة، وسمع ورأى في خلافة عمر بن الخطاب كيف قوض المسلمون مملكتي غسان في الشام والمناذرة في العراق اللتين كان ينتجعهما طلباً للعتاء في الجاهلية. وقد امتد به العمر حتى شاهد كيف يزيل الإسلام دولة الفرس العظيمة وكيف يقهر المسلمون دولة الروم في الشام ومصر. فحسان من المعمرين، فقد عاش ستين سنة في الجاهلية وستين سنة في الإسلام، وتوفي في خلافة معاوية سنة ٥٤هـ.

شعره:

حسان بن ثابت امتد به العمر مئة وعشرين عاماً، فقال أشعاراً كثيرة في هذا العمر الطويل، وقد عرف عنه في الجاهلية أنه من أشعر أهل القرى، وعرف عنه في الإسلام أنه شاعر الرسول، وديوانه يجمع شعره الجاهلي والإسلامي، وستتناول فيما يلي كلا النوعين من شعره.

(أ) شعره في الجاهلية

كان حسان بن ثابت في العصر الجاهلي شاعر الخزرج يدافع عنهم ويرد على شعراء الأوس، وقد اشتهر شعره في العصر الجاهلي، وتعدى يثرب، بل إنه وصل إلى العراق والشام وسوق عكاظ، وقد قال حسان الشعر في العصر الجاهلي في الأغراض التالية:

١ - المدح:

يعتبر مدح حسان في الجاهلية من أجمل شعره وأقواه بل إن مدحه في الجاهلية يمثل شعره القوي في أسلوبه ومعانيه، ومن أجود ما قال في المدح قوله في الغساسنة:

لله دُرٌّ عَصَابَةٌ نَآدِمَتْهُمْ يَوْمَا بَجَلَقَ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ^(١)
يمشون في الحُلَلِ الْمُضَاعَفِ نَسْجُهَا مَشَى الْجَمَالِ إِلَى الْجَمَالِ الْبُزْلِ^(٢)
بيضُ الوجوهِ كريمةٌ أحسابُهُمْ شَمُّ الْأَنْوَفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ

٢ - الفخر:

فخر حسان في الجاهلية لا يقل جودة عن المدح، فهو الغرض الثاني الذي يلي المدح، وأسلوبه في الفخر يشبه أسلوبه في المدح، ومن أجود ما قال في الفخر قوله:

لَنَا حَاضِرٌ فَعْمٌ، وَبَادٍ كَأَنَّهُ شَمَارِيخُ رَضْوَى عِزَّةً وَتَكْرُمًا^(٣)
لَنَا الْجَفَنَاتُ الْعُرَّى يَلْمَعْنَ بِالضُّحَى وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمًا^(٤)
فَكُلُّ مَعَدٍّ قَدْ جَزَيْنَا بِصُنْعِهِ فَبُؤْسَى بِبُؤْسَاهَا، وَبِالنُّعْمِ أَنْعَمًا

(١) جلق: دمشق أو غوطة دمشق .

(٢) الجمال البزل: جمع بازل وهو الجمل الذي أكمل ثماني سنوات ودخل التاسعة.

(٣) فعم: كثير. شماريخ: أعالي الجبل. رضوى: جبل قرب ينبع.

(٤) الجفنات: القصاص. الغر: البيض.

٣ - الهجاء:

قال حسان أشعاراً كثيرة في الهجاء وخصوصاً في هجاء الأوس، فقد كانت الحروب لا تنقطع بين الأوس والخزرج، وبما أن قيس بن الخطيم شاعر الأوس يهجو الخزرج فإن حسان لا يألو جهداً في هجاء الأوس، ومعانيه في الهجاء هي الجبن والهروب من المعارك وذلة الجذود وغير ذلك من المعاني التي نجدها في هجائه.

٤ - الغزل:

ومن الأغراض التي قال حسان فيها الشعر في جاهليته الغزل، وكان يستخدمه وسيلة لتأدية

غرضه الشعري، فهو يكون في مقدمة القصيدة في الغالب، ومن غزله قوله:

تَذَكَّرْتُ لَيْلَى وَأَنْلَى بِهَا	إِذَا قُطِعَتْ مِنْكَ أَقْرَانُهَا ^(١)
مَهَاءٌ مِنَ الْعَيْنِ تَمْشِي بِهَا	وَتَتَّبَعُهَا ثُمَّ غَزْلَانُهَا
وَقَفْتُ عَلَيْهَا فَسَاءَ لَهَا	وَقَدْ ظَعَنَ الْحَيُّ مَا شَأْنُهَا
فَعَيَّتُ وَجَاوَبَنِي دُونَهَا	بِمَارَاعِ قَلْبِي أَعْوَانُهَا

(١) الأقران: جمع قَرَنَ وهو الحبل.

(ب) شعره في الإسلام

حسان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ، وشعره في الإسلام يسير وفق العقيدة الإسلامية، فمن أول ما قال في الإسلام قوله:

شَهِدْتُ بِإِذْنِ اللَّهِ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ الَّذِي فَوْقَ السَّمَوَاتِ مِنْ عُلُ
وَأَنْ أَحَا الْأَحْقَافِ إِذْ يَغْذُلُونَهُ يَقُومُ بَدِينِ اللَّهِ فِيهِمْ فَيَعْدِلُ^(١)
وَأَنْ أَبَا يَحْيَى وَيَحْيَى كِلَاهُمَا لَهُ عَمَلٌ فِي دِينِهِ مُتَقَبَّلُ^(٢)
وَأَنَّ الَّذِي عَادَى الْيَهُودَ ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولٌ أَتَى مِنْ عِنْدِ ذِي الْعَرْشِ

وقد كان النبي ﷺ يجل حسان ويقدره بل إنه يستمع إلى شعره في المسجد، وقد قال الشعر في الإسلام في الأغراض القديمة ولكنه سخر أغراضه في الإسلام لخدمة الإسلام ونشره والرد على مناوئيه، ومن الأغراض التي قال فيها الشعر في إسلامه: المدح، والهجاء والثناء.

١ - المدح:

لقد مدح حسان الرسول ﷺ ومدح المهاجرين وخص رجالاً من الصحابة بمدائح رائعة، وإذا تتبعنا المعاني التي يختارها لمدائحه وجدناها معاني إسلامية؛ فهو يمدح النبي ﷺ بالنبوة وباقتران اسمه باسم الله في الأذان، وتطهيره الأرض من الأصنام؛ يقول حسان في ذلك:

أَغْرُ، عَلَيْهِ لِلنَّبُوءَةِ خَاتَمٌ مِنْ اللَّهِ مَشْهُودٌ يُلُوحُ وَيُشْهَدُ
وَضَمَّ إِلَهُ اسْمَ النَّبِيِّ إِلَى اسْمِهِ إِذَا قَالَ فِي الْخَمْسِ الْمُؤَذِّنُ أَشْهَدُ
وَشَقَّ لَهُ مِنْ إِسْمِهِ لِيُجَلِّهُ فَذُو الْعَرْشِ مُحَمَّدٌ وَهَذَا مُحَمَّدُ
نَبِيٌّ أَتَانَا بَعْدَ يَأْسٍ وَفَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ وَالْأَوْثَانِ فِي الْأَرْضِ
فَأَمْسَى سِرَاجاً مُسْتَنِيرًا وَهَادِيًا يُلُوحُ كَمَا لَاحَ الصَّقِيلُ الْمُهَنَّدُ
وَأَنْذَرَنَا نَاراً وَبَشَّرَ جَنَّةً وَعَلَّمَنَا الْإِسْلَامَ فَأَلَّهِ نَحْمَدُ

(١) هو: هود عليه السلام وهو المشار إليه في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ كَرَّ أَحَا عَادٍ إِذْ أُنْذِرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾ والأحقاف الجزء الجنوبي الشرقي من الربع الخالي.

(٢) أبو يحيى هو زكريا عليهما السلام.

وبجانب المعاني الإسلامية نجد لحسان معاني قديمة كما في قصيدته التي رد بها على وفد بني تميم والتي مطلعها:

إِنَّ الذَّوَابَّ مِنْ فَهْرٍ وَإِخْوَتِهِمْ قَدْ بَيَّئُوا سُنَّةَ النَّاسِ تُنْبَغُ

وكما في قصيدته التي يمدح بها الزبير بن العوام والتي يقول فيها:
هو الفارس المشهور والبطل الذي يصول إذا ما كان يومٌ مُحَجَّلُ

٢ - الهجاء:

معظم هجاء حسان في قريش قبل أن يدخلوا في الإسلام فقد قال فيهم:
أَمَّا قُرَيْشٌ فَإِنِّي لَسْتُ تَارِكُهُمْ حَتَّى يُبَيِّتُوا مِنَ الْغِيَّاتِ بِالرَّشَدِ
ويتركوا اللات والعزى بمغزلة ويسجدوا كُلُّهُمْ للواحد الصمد
ويشهدوا أن ما قال الرسول لهم حق ويوفوا بعهد الله في سد

وقد أذن النبي ﷺ لحسان بهجاء المشركين ودعا له حيث قال: " اللهم أيده بروح القدس " وقد استمع النبي ﷺ إلى هجائه ثم قال: " لَهَذَا أَشَدُّ عَلَيْهِمْ مِنْ وَقَعِ النَّبْلِ " وفي حديث عنه ﷺ أنه قال: "أمرت عبد الله بن رواحة بهجاء قريش فقال وأحسن، وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن، وأمرت حسان بن ثابت فشفي واشتفى". وكان حسان لا يهجو قريشاً بالكفر وإنما يهجوهم بالهزائم في الحرب، والطعن في أنسابهم، وقد كان النبي ﷺ يقول: " اهجهم وجبريل معك"، وكان يرسله إلى أبي بكر ليخبره بأنساب قريش. وكان هجاء حسان قاسياً فقد بكى الحارث بن عوف المري حين قال فيه حسان:

يَا حَارِ مَنْ يَغْدُرُ بِذِمَّةِ جَارِهِ مِنْكُمْ فَإِنَّ مُحَمَّدًا لَمْ يَغْدُرْ
إِنْ تَغْدُرُوا فَالْعَدْرُ مِنْكُمْ شَيْمَةٌ وَالْعَدْرُ يَنْبُتُ فِي أَصُولِ السَّخْبَرِ

واعتذر الحارث بن هشام عن فراره في يوم بدر وترك أخيه أبي جهل يقتل؛ لأن حسان رضي الله عنه قال فيه:

إِنْ كُنْتُ كَاذِبَةً الَّذِي حَدَّثَنِي فَجَبُوتِ مَنْجَى الْحَارِثِ بْنِ هِشَامِ

تَرَكَ الْأَجَبَةَ أَنْ يُقَاتِلَ دُونَهُمْ وَنَجَا بِرَأْسِ طِمْرَةٍ وَلِجَامٍ^(١)

٣ - الرثاء:

لحسان رضي الله عنه قصائد في رثاء الرسول ﷺ تعبر عن اللوعة والحزن ولكن تلك القصائد لا تصل إلى مستوى الحدث الكبير وهو موت الرسول ﷺ، ومن أجود مرثيته في الرسول ﷺ قصيدته التي مطلعها:

بطيبة رسم للرسول ومعهده منير، وقد تغفو الرسوم وتهمد
وأيضاً قصيدته التي مطلعها:

ما بال عينك لا تنام كائناً كحلت ماقيها بكحل الأرمـد

وقد رثى حسان أبا بكر وذكر موقفه الذي لا ينسى حين رافق النبي ﷺ في هجرته، وقد رثى عثمان بمرث مخزنة، ومعظم رثاء حسان مشتمل على المواقف الإسلامية الخالدة التي يتحلى بها المرثي.

وقد أحسن حسان في الاعتذار حيث اعتذر لعائشة رضي الله عنها عندما نسب إليه كلام لم يقله، والأبيات التي قالها في الاعتذار تبين لنا أن حسان من المبرزين في هذا الغرض يقول رضي الله عنه:

حصان رزان ما تزن بريية وتصبح غزني من لحوم الغوافل^(٢)
فإن كنت قد قلت الذي قد زعمتم فلا رفعت سوطي إلي أناملي
وكيف وودي من قديم ونصرتي لآل رسول الله زين المحافل

هذه هي الأغراض التي طرقها حسان في الجاهلية والإسلام، فمعانيها مختلفة حيث تبرز المعاني الإسلامية في شعره الإسلامي، كما تظهر معاني الجاهلية في شعره الجاهلي.

(١) الطمرة: المستفزة للوثب والعدو من أنثى الجياد.

(٢) حصان: عفيفة. رزان: ذات وقار. تزن: تنهم. غزني: جائعة: أي إنما لا تغتاب النساء.

قصيدة حسان بن ثابت في رثاء الرسول ﷺ

- ١- بِطَيْبَةِ رَسْمٍ لِلرَّسُولِ وَمَعْهَدُ
٢- وَلَا تَنْمُحِي الْآيَاتُ مِنْ دَارِ حُرْمَةٍ
٣- وَوَاضِحُ آيَاتٍ وَبَاقِي مَعَالِمِ
٤- بِهَا حُجَرَاتٌ كَانَ يُنْزَلُ وَسُطْحُهَا
٥- مَعَالِمٌ لَمْ تُطْمَسْ عَلَى الْعَهْدِ آيُهَا
٦- عَرَفْتُ بِهَا رَسْمَ الرَّسُولِ وَعَهْدَهُ
٧- ظَلَلْتُ بِهَا أَبْكِي الرَّسُولَ فَأَسْعَدْتُ
٨- تَذَكَّرُ آلَاءَ الرَّسُولِ، وَمَا أَرَى
٩- مُفَجَّعَةً قَدْ شَفَّهَا فَقَدْ أَحْمَدِ
١٠- أَطَالْتُ وَقُوفاً تَذْرِفُ الْعَيْنُ جُهِدَهَا
١١- قَبُورَكُنَّ يَا قَبْرَ الرَّسُولِ وَبُورَكُنَّ
- مَنْبِرٌ وَقَدْ تَعْفُو الرُّسُومُ وَتَهْمَدُ
بِهَا مَنْبِرُ الْهَادِي الَّذِي كَانَ يَصْعَدُ
وَرَبْعٌ لَهُ فِيهِ مُصَلَّى وَمَسْجِدُ
مِنْ اللَّهِ نَوْرٌ يُسْتَضَاءُ وَيُوقَدُ
أَتَاهَا الْبَلَى فَالْآيُ مِنْهَا تَجَدَّدُ
وَقَبْرًا بِهِ وَارَاهُ فِي الثُّرْبِ مُلْحَدُ
عُيُونٌ وَمَثَلَاهَا مِنَ الْجَفْنِ تُسْعِدُ
لَهَا مُحْصِيًا نَفْسِي فَنَفْسِي تَبْلُدُ
فَظَلَلْتُ لآلَاءِ الرَّسُولِ تُعَدِّدُ
عَلَى طَلَلِ الْقَبْرِ الَّذِي فِيهِ أَحْمَدُ
بِلَادُ ثَوَى فِيهَا الرَّشِيدُ الْمُسَدَّدُ

شرح الأبيات:

- (١) طيبة: المدينة المنورة. رسم: أثر باقٍ المعهد: المنزل المعروف. تعفو: تزول. تهمد: تبلى.
إذا كان رسول الله ﷺ قد اختاره الله إلى جواره فإن آثاره باقية في المدينة يحيط بها النور الذي يبيقها واضحة إذا زالت الآثار الأخرى وانطمست.
- (٢) الآيات: العلامات. دار الحرمه: ما لا يحل انتهاكه
والآثار معرضة للزوال. ولكن آثار الرسول ﷺ في دار لا يحل انتهاكها وهي المدينة المنورة
حيث تشتمل على المنبر الذي كان مصدر إشعاع وهداية للبشر.
- (٣) الربع: المنزل.
إن العلامات الدالة على مكان إقامته ﷺ واضحة، فمنزله ومسجده وأماكن صلاته كلها
تذكر بما للنبي ﷺ من المنزلة في نفوس المسلمين.

(٤) إن طيبة تضم حجرات الرسول ﷺ التي كان يشع منها نور الإيمان فيهدي الناس إلى الخير ويبعدهم عن الشر.

(٥) تطمس: تمحى. العهد: المعرفة. البلى: القدم

إذا كان الموت قد خيم على تلك المعالم حيث دفن الرسول ﷺ فإن علامات الإيمان باقية وهي تتجدد يوماً بعد يوم.

(٦) واره: أخفاه وستره.

لقد عرفت الرسول حياً يرشدنا إلى الخير، وعرفته ميتاً تعظنا آثاره ورسومه فقره يذكرنا بما كان يقوله لنا في حياته.

(٧) لقد استولى عليّ الحزن عندما طفت بالأماكن التي كان يرتادها رسول هذه الأمة فقد انهمرت الدموع من عيني، ومثل عيني تواقى بالدموع وتسعف به.

(٨) آلاء: نعم. تبلد: تتحير.

كيف لا ينهمر الدمع بغزارة على نبي حباه الله من النعم ما لا يعد ولا يحصى، فلو أردت أن أعد تلك النعم لما استطعت لها عدداً.

(٩) شفها: يقال شفّه الهم أي أهزله.

إذا كانت نفسي قد أصابتها الأرزاء، فإن هذه المصيبة التي حلت بنا أعظم من أيّ مصيبة ومما يدل على ذلك هذا الهم الذي أهزل جسمي فلم يبق أمامي إلا أن أعدد نعم الرسول ﷺ.

(١٠) تذرف: تسيل الدمع. جهدها: طاقتها أي أكثر ما تستطيع. طلل: هو الشاخص من آثار الديار.

(١١) المسدد: الذي وفقه الله للسداد والصواب.

وإذا كان لي من دعاء لقبر نبينا ولبلد الذي يضم ذلك القبر فإنني أطلب من الله أن ينعم على تلك بالخير العميم والبركة الدائمة.

كعب بن زهير

حياته:

هو كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني، نشأ وعاش في قبيلة غطفان مع أبيه زهير، ومساكنهم فيما يعرف اليوم بعقلة الصقور وما حولها من الناحية الغربية حتى ضواحي يثرب من الناحية الشرقية، وكان كعب يتجول في هذه البلاد مع أخيه بجير ويرعيان أغنامهما، وقد سمعا بأمر الرسول ﷺ، وبينما كعب وأخوه بجير يقيمان في مكان يعرف بأبرق العزّاف وهو أقرب موضع إلى المدينة من بلاد غطفان قال بجير لكعب: اثبت في الغنم حتى آتي هذا الرجل - يعني النبي ﷺ - فأرى ما عنده فثبت كعب، وذهب بجير والتقى بالرسول ﷺ فدخل قلبه الإيمان وأسلم وبقي مع الرسول ولم يعد إلى كعب، وعندما علم كعب بخبر بجير أرسل إليه هذه الأبيات:

ألا أبلغاً عني بجيراً رسالاً	فهل لك فيما قلت ويحك هل لكأ
سفاك بها المأمون كأساً رويّة	وأنهلك المأمون منها وعلكأ
ففارقت أسباب الهدى واتبعته	على أي شيء - ويب غيرك- ذلّكأ ^(١)
على مذهب لم تُلَفِ أمّاً ولا أباً	عليه ولم تعرف عليه أخالكأ

فلما قرأ بجير هذه الأبيات أخبر النبي ﷺ بما جاءه من كعب، فغضب النبي ﷺ على كعب

غضباً شديداً، وقد رد بجير على كعب بالأبيات التالية:

فمن مبلغ كعباً فهل لك في التي	تلوم عليها باطلاً وهي أحزّم
إلى الله لا العزى ولا الآلات وحده	فتنجو إذا كان النجاء وتسلم
لدى يوم لا ينجو وليس بمفليت	من النار إلا طاهر القلب مسلم
فدين زهير - وهو لا شيء - باطل	ودين أبي سلمى عليّ محرم

(١) ويب غيرك: هلكت مثل غيرك.

وقال في رسالة بعث بها إليه: وإني أنصحك بالإسلام، والرسول ﷺ يقبل إسلام المرء ولا ينظر إلى ماضيه.

وعندما ضاقت الأرض بكعب أقبل على الرسول ﷺ مسلماً في أول السنة التاسعة من الهجرة، ويقول كعب: عندما وصلت إلى باب المسجد أنخت راحلي ودخلت المسجد فوجدت الناس حلقات حول الرسول ﷺ فعرفت الرسول بصفته فدنوت منه وقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، الأمان يا رسول الله، قال: من أنت؟ قلت: كعب بن زهير، قال: الذي يقول ما يقول ! ثم عفا الرسول ﷺ عنه، واستأذنه كعب ثم ألقى قصيدته (بانت سعاد) التي مطلعها:

بأنت سعادُ فقلبي اليومَ متبولٌ مُتيمِّمٌ إثرَها لم يُفدَ مكبولٌ

وقد استمع النبي ﷺ إلى قصيدته واستحسنها فخلع عليه بردته، وهي شملة يشتمل بها الرسول ﷺ وقد توفي كعب سنة ٢٦هـ.

شعره:

شعر كعب بن زهير من أجود الشعر فقد جمع بين الطبع والتنقيح، أما الطبع فإنه ينتسب إلى أسرة فيها كثير من الشعراء والشاعرات، فوالده زهير شاعر مشهور، وجدته ربيعة بن رياح شاعر، وأخوه بجير شاعر، وابنه عقبة شاعر، وعمته سلمى شاعرة، وعمته الخنساء شاعرة، وقد اعتنى به والده منذ طفولته فعلمه الشعر، ولما رأى والده أنه يرغب في قول الشعر أراد أن يختبره فأخذه على ظهر جمل وبدأ زهير يقول البيت من الشعر ثم يطلب من ابنه كعب أن يأتي بيت بعده، فلا يلبث كعب أن يأتي بالبيت المطلوب فاطمأن زهير إلى أن ابنه شاعر وأنه يستطيع أن يقول الشعر الجيد.

(أ) شعره في الجاهلية:

اشتهر كعب في الجاهلية، وعُدَّ من شعرائها المقدمين، وقد قال الشعر في أغراض مختلفة منها: الفخر؛ فقد فخر بشعره وبأصله في مزينة، وقال في الهجاء فقد كان يهجو زيد الخيل، ثم هجا المسلمين، وخص أخاه بجيراً ببعض الهجاء، وقال في الغزل أيضاً، وكان يبدأ به قصائده، والوصف، ووصفه قريب من وصف والده زهير.

والمعاني التي قال فيها شعره في الجاهلية هي المعاني المتداولة بين الشعراء. أما أسلوبه فقد اشتهر بالتنقيح حيث سار على طريقة أبيه في اختيار الألفاظ وجودة سبكها.

(ب) شعره في الإسلام:

لم يتأثر شعر كعب بن زهير بالإسلام كثيراً كما تأثر شعر غيره من الصحابة، فقد بقي على طريقته في الجاهلية في اختيار معظم معانيه وفي اختيار ألفاظه، فمن المعروف أن الإسلام يرقق عواطف الشاعر فيرق شعره وإذا تتبعنا شعر كعب الإسلامي وجدناه لا يختلف كثيراً عن شعره الجاهلي إلا في بعض المعاني الإسلامية، وقد قال كعب شعره الإسلامي في الأغراض التالية:

١ - المدح:

سبق كعب بن زهير غيره من شعراء الإسلام بقصيدته (بانت سعاد) التي مدح بها الرسول ﷺ والصحابة، فقد أعجب الرسول ﷺ بمدح كعب فعندما سمع قوله:

إن الرسول لنورٌ يُستضاء به مهندٌ من سيوف الله مسلولٌ
في عصابة من قريش قال قائلهم ببطن مكة لما أسلموا زولوا^(١)
زالوا فما زال أنكاسٌ ولا كُشِفَ عند اللقاء ولا ميلٌ معازيل^(٢)

أشار الرسول ﷺ إلى الناس من حوله أن يستمعوا شعر كعب، وقد خلع النبي ﷺ بردته وأعطاهما إياه، وقد اشتهرت هذه القصيدة على امتداد التاريخ الإسلامي، وهذا يدل على جودة معانيها وقوة أسلوبها ومضمونها، ولكعب قصائد في المدح التي قالها بعد إسلامه ولكنها لا تصل إلى درجة (بانت سعاد) ومن قصائد المدح التي قالها في الإسلام قصيدته في مدح الأنصار ومنها:

من سرُّه كرمُ الحياة فلا يزل في مقنَّبٍ من صالحِ الأنصار^(٣)
الباذلين نفوسَهُم لنَبِّهِم عند الهياجِ وسَطوةَ الجبارِ

(١) العصبة: الجماعة من العشرة إلى الأربعين. زولوا: هاجروا.

(٢) أنكاس: ضعفاء. الأكشف: من ليس معه ترس. الأعزل من لا رمح معه.

(٣) المقنَّب: الجماعة من الفرسان دون الألف.

٢ - الهجاء:

هجاء كعب بن زهير في الإسلام يبتعد عن السب والتجريح، فهو ينتهج منهج التعريض ويبتعد عن ذكر الأسماء، وهذا الطريق الذي سلكه في الإسلام يختلف عن الطريق الذي سار فيه في جاهليته؛ فقد كان هجاؤه في الجاهلية قاسياً وصريحاً.

ومن تطفه في الهجاء وابتعاده عن ذكر الأسماء وعن السب الصريح قوله:
إِنْ كُنْتُ لَا تَرْهَبُ ذِمِّي لِمَا تَعْرِفُ مِنْ صَفْحِي عَنِ الْجَاهِلِ
فَاخْشَ سَكُوتِي إِذْ أَنَا مُنْصِتٌ فَيْكَ لِمَسْمُوعِ خَنَا الْقَائِلِ

٣ - الحكم والمواعظ:

ليس غريباً على كعب بن زهير أن يتقدم على غيره في هذا الغرض، فوالده زهير جعل آخر معلقته حكماً متواليه، وحكم كعب تختلف عن حكم والده فهي حكم ومواعظ وجه الإسلام معظمها فتحوّلت إلى عظات ترقق القلوب. فمن حكمه قوله:

كُلُّ ابْنِ أَنْثَى وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ يَوْمًا عَلَى آلَةٍ حَذْبَاءَ مَحْمُولٍ

ومن الحكم التي تعظ القلوب:

لَوْ كُنْتُ أَعْجَبُ مِنْ شَيْءٍ لِأَعْجَبَنِي سَعَى الْفَتَى وَهُوَ مَخْبُوءٌ لَهُ الْقَدَرُ
يَسْعَى الْفَتَى لِأُمُورٍ لَيْسَ يُدْرِكُهَا فَالْنَفْسُ وَاحِدَةٌ وَالْهَمُّ مُنْتَشِرٌ
وَالْمَرْءُ مَا عَاشَ مَمْدُودٌ لَهُ أَمَلٌ لَا تَنْتَهِي الْعَيْنُ حَتَّى يَنْتَهِيَ الْأَثَرُ

وقوله:

وَالسَّامِعُ الدَّامِ شَرِيكَ لَهُ وَمُطْعِمُ الْمَأْكُولِ كَالْأَكْلِ
مَقَالَةُ السُّوءِ إِلَى أَهْلِهَا أَسْرَعُ مِنْ مُنْحَدِرِ سَائِلِ
وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى ذَمِّهِ ذَمُّهُ بِالْحَقِّ وَبِالْبَاطِلِ

قصيدة كعب بن زهير في مدح الأنصار

- ١- من سرّهُ كرمُ الحياةِ فلا يَزَلْ في مَقْنَبٍ من صَالِحِي الأنصارِ
- ٢- تَزُنُ الجِبَالَ رِزَانَةً أَحْلَامُهُمْ وَأَكْفُهُمْ خَلْفٌ مِنَ الْأَمْطَارِ
- ٣- الْمُكْرَهَيْنِ السَّمْهَرِيِّ بِأَذْرُعِ كَصَوَاقِلِ الْهِنْدِيِّ غَيْرِ قِصَارِ
- ٤- وَالنَّاطِرِينَ بِأَعْيُنٍ مُحَمَّرَةٍ كَالجَمْرِ غَيْرِ كَلِيلَةِ الْأَبْصَارِ
- ٥- وَالذَّائِدِينَ النَّاسَ عَنْ أَدْيَانِهِمْ بِالْمَشْرِفِيِّ وَبِالْقَنَّا الْخَطَّارِ
- ٦- وَالبَازِلِينَ نُفُوسَهُمْ لِنَبِيِّهِمْ يَوْمَ الْهَيَاجِ وَسَطْوَةِ الْجَبَّارِ
- ٧- دَرَبُوا كَمَا دَرَبْتُ أَسْوَدُ خَفِيَّةٍ غُلْبُ الرِّقَابِ مِنَ الْأَسْوَدِ ضَوَارِي
- ٨- وَهُمْ إِذَا خَوَتِ النُّجُومُ فَأَتَتْهُمْ لِلطَّائِفِينَ السَّائِلِينَ مَقَارِي
- ٩- وَالْمُطْعَمُونَ الضَّيْفِ حِينَ يَنْوَبُهُمْ مِنْ لَحْمِ كَوْمٍ كَالْهَضَابِ عِشَارِ
- ١٠- وَالْمُنْعَمُونَ الْمُفْضِلُونَ إِذَا شَتَّوَا وَالضَّارِبُونَ عِلَاوَةَ الْجَبَّارِ

مناسبة القصيدة:

عندما أهدر النبي ﷺ دم كعب بن زهير في الفترة التي كان يسب فيها الإسلام والمسلمين كان الأنصار هم الذين يبحثون عنه حتى ضيقوا عليه، وبعد أن هداه الله للإسلام وقال قصيدته المشهورة في مدح الرسول والمهاجرين لم يذكر الأنصار في تلك القصيدة بل عرض بهم في قوله: يمشون مشي الجمال الزهر يعصمهم ضرب إذا عرّدت السود التنايل^(١)

وقد استاء الأنصار من ذلك، واستاء المهاجرون وقالوا إن مدحاً لا يشمل إخواننا الأنصار إنما هو ناقص، وقد سمع كعب بن زهير ذلك الحديث فعزم على إنشاء هذه القصيدة.

(١) الزهر: البيض. يعصمهم: يمنعهم. عرّدت: فر وأعرض. التنايل: جمع تنبال وهو القصير.

شرح الأبيات:

- (١) المقنب: ما دون الألف من الفرسان.
من أراد أن يتمتع بالحياة الكريمة فليكن في مجموعة صالحة من الأنصار تحميه عند الحاجة وتشد عضده.
- (٢) إن عقول الأنصار تعادل الجبال في كبرها وعظمتها، وهم كرماء فأيديهم خلف من المطر؛ لأنها تجود بالمال والعطاء الكثير عندما تقل الأمطار ويصيب الناس القحط والجذب.
- (٣) السمهري: الرمح القوي. وسمهر اسم رجل تنسب له الرماح وكان يبيع الرماح القوية في الخط (القطيف). صواقل الهندي: السيوف.
إن أولئك الرجال يحملون الرماح القوية بأذرع تكرهها على الطعن وتدفعها إليه لأن تلك تشبه سيوف الهند وهي طويلة تساعد على دفع الرمح بقوة.
- (٤) الكليلة: ضعيفة النظر.
إنهم ينظرون إلى أعدائهم بأعين تشبه الجمر المتوقد من شدة الغيظ وشهوة اللقاء، وتلك الأعين حادة البصر غير ضعيفة.
- (٥) المشرفي: المشرفية السيوف المنسوبة إلى المشارف وهي قرى في أطراف الريف من جهة البادية سواء كانت في الشام أو في اليمن. الخطار: الذي إذا هز تتابعت أجزأؤه في اضطراب منتظم.
لقد جاهد الأنصار في سبيل الله وقاتلوا العرب حتى دخلوا في دين الإسلام.
- (٦) الهياج: الحرب. السطوة: القهر والبطش.
والأنصار لا يدخلون بنفوسهم وإنما يبذلونها في سبيل طاعة الرسول ﷺ عندما يأمرهم بحرب أعداء الإسلام الذين يحاولون قهر المسلمين والبطش بهم.

(٧) دربوا: اعتادوا. خفية: موضع في اليمامة تكثر به الأسود. غلب الرقاب: غلظ الرقاب، ضواري: معتادة.

إن اعتياد الأنصار على خوض الحروب يشبه اعتياد أسود "خفية" على أكل اللحوم والافتراس.

(٨) خوت النجوم: لم ينزل فيها مطر. مقاري: يقرون الناس أي يكرمونهم. الأنصار يبذلون أموالهم في زمن الشدة وتوقف الأمطار؛ فهم يقرون السائل والطائف بهم فيجعلون أولئك ينزلون بساحتهم.

(٩) ينوبهم: يأتيهم. الكوم: جمع كوماء وهي العظيمة السنام. العشاء: التي أمضت عشرة أشهر من حملها..

والأنصار كرام فهم ينحرون الإبل العشار ذوات الأسنة العظيمة عندما يحل بساحتهم الضيف.

(١٠) العلاوة: العنق.

إن الأنصار يشتهرون بالكرم في وقت الشدة وهو الشتاء، ويشتهرون بضرب عنق الجبار في المعارك، فهم يجمعون بين الكرم والشجاعة.

مناقشة

- ١- وازن بين مدح حسان بن ثابت في الجاهلية ومدحه في الإسلام.
- ٢- لماذا كان هجاء حسان لقريش أشد من هجاء غيره واستشهد على ذلك بشيء من شعره.
- ٣- كيف تم إسلام كعب بن زهير؟
- ٤- تحدث عن قصيدة كعب بن زهير (بانت سعاد) مبيناً سبب شهرتها.
- ٥- اذكر بعضاً من أبيات كعب بن زهير في الحكمة.

النثر في عصر صدر الإسلام

النثر الأدبي في عصر صدر الإسلام يتمثل في الخطابة والرسائل، وإذا كان القصد من النثر الأدبي هو التأثير وإثارة العواطف، فإن الخطبة والرسالة لهما الأثر الكبير في إثارة العواطف ومن ثمّ التأثير في الناس، على أن الخطبة تؤثر في الناس أكثر من تأثير الرسالة.

الخطابة

الرسول ﷺ معدود من فصحاء العرب وبلغائهم قبل البعثة، وعندما بعث أخذ يدعو الناس إلى عبادة الله ونبد الشرك، وكانت الخطابة هي الوسيلة التي توصل تعاليم الإسلام إلى قريش خاصة ثم إلى العرب عامة. وقد كانت خطب الرسول ﷺ في مكة قبل أن يهاجر إلى المدينة من أقوى الخطب التي يسمعها العرب، ولولا تأثير تلك الخطب في قريش ثم في العرب القادمين للحج لما حدثت الخصومة بين النبي ﷺ وأهل مكة.

ومن خطبه ﷺ في مكة خطبته في قريش عندما نزل عليه قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء، آية: ٢١٤) فقد جمع قريشاً وخطب فيهم، ومن تلك الخطبة: "إن الرائد لا يكذب أهله، والله لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم، ولو غررت الناس جميعاً ما غررتكم، والله الذي لا إله إلا هو إني لرسول الله إليكم حقاً وإلى الناس كافة".

وعندما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة أصبحت خطبه توضح التشريع الإسلامي. وقد شرع الإسلام خطبة الجمعة والعيدين وخطبة الحج.

أما الخطب التي تقال في المناسبات فهي قوية ومؤثرة، ومن تلك الخطب خطبة أبي بكر في يوم السقيفة، وخطبة عمر يوم تولى الخلافة، ولعلي ابن أبي طالب خطب بليغة في مناسبات كثيرة.

والخطابة في العصر الإسلامي تختلف عن خطب الجاهلية؛ فالخطبة الجاهلية تعتمد على السجع في أسلوبها، أما الخطبة في الإسلام فتتميز بسهولة الأسلوب، ووضوح المعنى، وهي تستقي معانيها من القرآن والحديث.

ومن عادة الخطيب أن يخطب واقفاً، ويكون ذلك فوق منبر أو مرتفع من الأرض، ويعتمد على عصا. ولا يتصدى للخطبة إلا رجل عرف ببلاغته وقوة تأثيره، ولذلك نجد الخطب الإسلامية تؤثر في الناس أكثر من تأثير الشعر، بعكس ما كان سائداً في العصر الجاهلي فإن الشاعر يؤثر أكثر من الخطيب.

نماذج من الخطابة

١ - من خطبة النبي ﷺ بالخيف في منى:

روي زيد بن ثابت رضي الله عنه: أن النبي ﷺ خطب بالخيف من منى فقال: "نَضَرَ اللهُ عبداً سَمِعَ مقالتي فوعاها، ثم أداها إلى من لم يَسْمَعْهَا، فَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ لا فقه له، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه. ثلاث لا يغلُّ عليهن قلب المؤمن: إخلاص العمل لله، والنصيحة لأولي الأمر، ولزوم الجماعة. إن دعوتهم تكون من ورائه. ومن كان همه الآخرة: جمع الله شمله وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة. ومن كان همه الدنيا: فرق الله أمره وجعل فقره بين عينيه، ولم يأتها من الدنيا إلا ما كتب له"^(١).

٢ - خطبة أبي بكر رضي الله عنه يوم تولى الخلافة:

"أما بعد، فإني وليتُ أَمْرَكُمْ ولست بخيركم، وَلَكِنْ نَزَلَ الْقُرْآنُ وَسَنَ النَّبِيُّ ﷺ وَعَلَّمَا فَعَلِمْنَا.

واعلموا أن أَكْيَسَ الْكَيْسِ التَّقَى^(٢)، وأن أحمقَ الْحُمُقِ الْفُجُورُ، وأن أقواكم عندي الضعيفُ حتى آخذ له بحقه، وأن أضعفكم عندي القوي حتى آخذ منه الحق.

(١) إعجاز القرآن ١٣٢.

(٢) الكيس: الفطنة والذكاء.

أيها الناس إنما أنا متبع ولست بمبتدع فإن أحسنت فأعينوني وإن زُغْتُ^(١) فقوموني. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم^(٢).

٣ - من خطبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم تولى الخلافة:

"اقرأوا القرآن تُعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله، إنه لم يبلغ حقُّ ذي حقٍّ يطاع في معصية الله ألا وإني أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة والي اليتيم: إن استغنيتُ عَفَفْتُ، وإن افتقرتُ أكلتُ بالمعروف، تَقَرَّمُ الْبَهْمَةُ الْأَعْرَابِيَّةُ: الْقَضَمَ لَا الْخَضَمَ"^(٣).

٤ - خطبة عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه حينما أغارت جيوش معاوية على

أطراف العراق وذلك بعد التحكيم

"أيها الناس المجتمعة أبدأئهم، المختلفة أهواؤكم، كلامكم يُوهي الصَّمَّ الصَّلَابَ^(٤)، وفعلكم يطمع فيكم الأعداء، تقولون في المجالس: كيت وكيت^(٥)، فإذا جاء القتالُ قلتُم حِيَادٍ^(٦)، ما عزّت دعوة من دعاكم ولا استراح قلبٌ من قاساكم، أعاليلُ بأضاليل! سألتُموني التأخير دِفَاعَ ذي الدَّيْنِ المَطُولِ، هيهاتَ لا يَمْنَعُ الضَّيْمَ الدَّلِيلُ، ولا يُدْرِكُ الْحَقُّ إِلَّا بِالْجِدِّ، أيُّ دارٍ بعد دارٍ كم تمنعون، أم مع أيِّ إمامٍ بعدي تقاتلون؟ المغرور والله من غررْثُمُوهُ ومن فاز بكم فقد فاز بالسَّهْمِ الأَخْيَبِ، ومن رمى بكم فقد رمى بأفْوَكَ نَاصِلٍ^(٧)، أصبحت والله لا أصدق قولكم، ولا أطمع في نصركم، ولا أوعِد العدو بكم، ما بالكم! القوم رجال أمثالكم، أقوالاً بغير علم، وغفلة من غير ورع، وطمعاً في غير حق؟ فرق الله بيني وبينكم وأعقبني بكم من هو خير لي منكم".

(١) الزيغ: العدول عن طريق الحق.

(٢) عيون الأخبار ٢/٢٣٤.

(٣) تقرر: أكل أكلاً ضعيفاً. القضم: الأكل بأطراف الأسنان. الخضم: الأكل بأقصى الأضراس. والخطبة في عيون الأخبار ٢/٢٣٤.

(٤) يوهي: يضعف. الصم الصلاب: الحجارة الصلبة القوية.

(٥) كيت وكيت: كذا وكذا.

(٦) حِيَادٍ: كلمة يقولها الفار من القتال.

(٧) أفوق ناصل: سهم كسر أعلاه أي لا نصل فيه. والخطبة في البيان والتبيين ٥٤/٢.

ه - خطبة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

"أصدق الحديث كتاب الله، وأوثق العُرَى كلمة التقوى، خير المَلَل ملة إبراهيم، وأحسن السُّنن سنة النبي محمد ﷺ، خير الأمور أوسطها، وشر الأمور محدثاتها، ما قل وكفى خير مما كثر وألهى، خير الغنى غنى النفس، وخير ما أُلقي في القلب اليقين، الخمر جَماع الإثم، النساء جبالَةُ الشيطان^(١)، الشباب شعبة من الجنون، حب الكفاية مفتاح المعجزة^(٢)، من الناس من لا يأتي الجماعة إلا دُبْرًا ولا يذكر الله إلا هُجْرًا^(٣)، أعظم الخطايا اللسان الكذوب، سباب المؤمن فسق، وقتاله كفر، وأكل لحمه معصية، من يتأَلَّ على الله يُكذِّبه^(٤) من يَغْفِرْ يُغْفَرْ له. مكتوب في ديوان المحسنين: من عفا عَفِيَّ عنه، الشقي من شقي في بطن أمه، والسعيد من وعَظَ بغيره، الأمور بعواقبها، ملاك العمل خواتيمه، أشرف الموت الشهادة، من يعرف البلاء يصبرَ عليه، ومن لا يعرف البلاء يُنْكِرْهُ".

(١) الحباله: التي يصاد بها.

(٢) المعجزة: العجز.

(٣) الهجر: هجران القلب وترك الإخلاص في الذكر.

(٤) من يتأَلَّ على الله: أي من يحكم على فلان بدخول الجنة أو النار. والخطبة في إعجاز القرآن ١٤٧ والبيان والتبيين ٥٦/٢.

الرسائل

كانت الكتابة معروفة في مكة قبل بعثة الرسول ﷺ ولكنها قليلة جداً، وعندما نزل القرآن الكريم حث على الكتابة فقد قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنُم بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾^(١).

والكتابة الفنية في عهد الرسول ﷺ تنحصر في كتابة الرسائل، وكتابة الرسائل امتداد للحديث العادي ولذلك نجد الرسائل تخلو من التكلف فهي سهلة العبارة خالية من عبارات التفخيم تنصب على الغرض الذي أنشئت من أجله، وهي تبتدئ عادة بـ (من عبد الله فلان إلى فلان أما بعد).

وتشمل الرسائل في عهد الرسول ﷺ: الرسائل إلى الملوك والأمراء، والرسائل إلى عمال الدولة، بالإضافة إلى الرسائل الشخصية، وفي عهد الخلفاء الراشدين كانت الرسائل ترسل من الخليفة إلى الأمراء والقواد والقضاة. وكانت الرسائل تشتمل على وصايا وتعليمات كما أنها تشمل ما يُوجّه إلى عامة المسلمين، وطريقة كتابة الرسالة في زمن الخلفاء الراشدين لم تختلف عما كانت عليه في زمن الرسول ﷺ إلا بنوع من الإطناب، كما نجد في رسائل عمر أو رسائل علي رضي الله عنهما.

نماذج من الرسائل

رسالة النبي ﷺ إلى ملك فارس:

"من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس:
سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وأدعوك بدعاء الله تعالى، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة، لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين. فَأَسْلِمَ تَسْلَمَ"^(٢).

(١) سورة البقرة آية ٢٨٢.

(٢) إعجاز القرآن ١٣٤.

رسالة النبي ﷺ إلى النجاشي:

"من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة : سَلِّمْ أَنْتَ فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ رُوحَ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْبَتُولِ^(١) الطَّيِّبَةِ، فَحَمَلَتْ بَعِيسَى فَحَمَلْتَهُ مِنْ رُوحِهِ وَنَفَخَهُ كَمَا خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ وَنَفَخَهُ. وَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَالْمَوَالَاةَ عَلَى طَاعَتِهِ وَأَنْ تَتَّبِعَنِي وَتُؤْمِنَ بِالَّذِي جَاءَنِي: وَإِنِّي أَدْعُوكَ وَجُنُودَكَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَقَدْ بَلَّغْتُ وَنَصَحْتُ، فَاقْبَلُوا نَصَحِي، وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى"^(٢).

رسالة أبي عبيدة الجراح ومعاذ بن جبل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنهم:

"سلام عليك، فإننا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد فإننا عهدناك وأمر نفسك لك مُهِمٌ، فأصبحت وقد وُلِّيتَ أمر هذه الأمة أَحْمَرَهَا وَأَسْوَدَهَا، يجلس بين يديك الصديق والعدو والشريف والوضيع ولكل حصته من العدل، فانظر كيف أنت يا عمر عند ذلك فإننا نخذرك يوماً تغنو فيه الوجوه، وتجب^(٣) فيه القلوب. وإننا كنّا نتحدث أن أمر هذه الأمة يرجع في آخر زمانها: أن يكون إخوان العلانية أعداء السريرة، وإننا نعوذ بالله أن تُنْزَلَ كتابنا سوى المنزل الذي نزل من قلوبنا، فإننا إنما كتبنا إليك نصيحة لك، والسلام"^(٤).

كتاب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما في القضاء:

"من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس: سلام عليك.

(١) البتل: القطع وسميت مريم البتول لأنها قطعت عن الرجال.

(٢) إعجاز القرآن ١٣٤.

(٣) وجب القلب: خفق واضطرب.

(٤) إعجاز القرآن ١٣٩.

أما بعد. فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة، فافهم إذا أدلي إليك، فإنه لا ينفع تكلم بحق لانفاذ له.

آس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك، حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا يئس ضعيف من عدلك^(١).

البينة على من ادعى واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحل حراماً أو حرم حلالاً. ولا يمنعك قضاء قضيت به بالأمر - فراجعت فيه عقلك، وهديت لرشدك - أن ترجع إلى الحق، فإن الحق قديم ومراجعة الحق خير من التماسي في الباطل.

الفهم الفهم، فيما تلجج في صدرك^(٢) مما ليس في كتاب ولا سنة، ثم اعرف الأشباه والأمثال، وقس الأمور عند ذلك واعمد إلى أشبهها بالحق.

واجعل لمن ادعى حقاً غائباً أو بينة أمداً ينتهي إليه، فإن أحضر بينة أخذت له بحقه، وإلا استحلت عليه القضية فإنه أنفى للشك وأجلى للعمى^(٣).

المسلمون عُدول بعضهم على بعض، إلا مجلّوداً في حدٍّ، أو مجرباً عليه شهادة زور، أو ظنياً في ولاء أو نسب^(٤)، فإن الله تولى منكم السرائر ودرأً بالإيمان والبيّنات^(٥).

وإياك والعلق والضجر^(٦) والتأذي بالخصوم، والتنكر عند الخصومات، فإن الحق في مواطن الحق يُعظم الله به الأجر، ويحسن به الذخر، فمن صحت نيته وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شأنه الله، فما ظنك بثواب الله عز وجل في عاجل رزقه وخزائن رحمته. والسلام".

(١) آس بين الناس... أي سو بين المتخاصمين في بشاشة وجهك وعدلك.

(٢) تلجج: تردد.

(٣) أجلى للعمى: أوضح للأمر المبهم.

(٤) الظنين: المتهم.

(٥) درأ: دفع.

(٦) العلق: ضيق الصدر. الضجر: قلة الصبر.

مناقشة

- ١- تحدث عن أهمية الخطابة في عصر صدر الإسلام.
- ٢- تحدث عن الرسائل في هذا العصر، واذكر أهم ما يميزها.

الأدب في العصر الأموي

يبتدئ العصر الأموي بخلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه سنة ٤١هـ بعد تنازل الحسن بن علي رضي الله عنهما له عن الخلافة، وينتهي بمقتل مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية سنة ١٣٢هـ وقيام الدولة العباسية.

وفي هذا العصر ازدهرت اللغة والأدب، فاتسعت مدلولات اللغة ودخلتها مصطلحات جديدة بسبب اتساع الدولة الإسلامية وكثرة احتياجاتها. وسنتحدث فيما يلي عن الشعر والنثر وتطورهما في هذا العصر

الشعر

ازدهر الشعر في العصر الأموي، وتفتت سوقه بسبب إجزال الأمويين العطاء للشعراء، وشيوع العصبية القبلية، كما كان لقيام الطوائف السياسية من شيعة وخوارج وزبيريين أثره الكبير في الأدب؛ فلقد كان لهذه الطوائف شعراء وخطباء ينافحون عنها، ويمدحون زعماءها، ويهجون منائياها، مما دفع بعجلة الأدب إلى الأمام.

أغراض الشعر

حافظ الشعراء على أغراض الشعر القديمة من مدح وفخر وهجاء ورتاء وغزل ووصف، وإن تأثرت هذه الأغراض بحضارة العصر الأموي التي تختلف عن العصر الجاهلي. وقد جدت أغراض جديدة لم تكن معروفة في العصر الجاهلي، ومن تلك الأغراض: الشعر السياسي والغزل العذري وأنواع من الوصف، مثل وصف البلاد المفتوحة وما فيها من أنهار وقصور وحنائق ومعابد، وبما أن الأغراض الشعرية في هذا العصر كثيرة ومتعددة فإننا سنتناول بعض هذه الأغراض.

الشعر السياسي:

عندما اندلعت الفتنة في زمن عثمان كانت إيذاناً باستمرار النزاع بين المسلمين، فقد قام معاوية يطالب بدم عثمان، وقد اختار المسلمون علياً خليفة للمسلمين ولكن خلافته لم تدم طويلاً بسبب النزاع بينه وبين معاوية رضي الله عنهما، وقد أدى ذلك النزاع إلى التحكيم الذي برز بسببه الخوارج، وبعد مقتل علي رضي الله عنه تولى الخلافة ابنه الحسن، ثم تنازل لمعاوية حقناً لدماء المسلمين.

وقد استاء أنصار علي من الحكم الأموي، وبرز الشيعة الذين يرون أن علياً وبنيه هم الأحق بالخلافة، ولكن الشيعة لم يستطيعوا مصارعة الأمويين، كما قام عبد الله بن الزبير الذي لم يبايع ليزيد بن معاوية، ودعا لنفسه بالخلافة، فبايعه كثير من المسلمين، وقوي نفوذه وتوالت انتصاراته، إلى أن قضي عليه في عهد عبد الملك بن مروان.

هذه الاتجاهات واكبها الشعر فكان لسانها الناطق الذي يذود عنها ويهاجم أعداءها، فالأمويون هم أصحاب الدولة، ولذا كان أكثر ألسن الشعراء معهم. ومن أبرز الشعراء الذين

يدافعون عن الأمويين الأخطل فهو يقول فيهم:

حُشِدْ عَلَى الْحَقِّ عَيَافُوا الْخَنَا أَنْفَ إِذَا أَلَمْتُ بِهِمْ مَكْرُوهَةٌ صَبِرُوا^(١)
وإن تَدَجَّتْ عَلَى الْآفَاقِ مُظْلِمَةٌ كَانَ لَهُمْ مَخْرَجٌ مِنْهَا وَمُعْتَصِرٌ^(٢)
شُمْسُ الْعَدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَاماً إِذَا قَدَرُوا^(٣)

والشيعة لَهُمْ شُعْرَاؤُهُمْ، ومن أبرزهم الكميث بن زيد الأسدي الذي يقول في بني هاشم:
بَنِي هَاشِمٍ رَهْطُ النَّبِيِّ فَإِنِّي بِهِمْ وَلَهُمْ أَرْضِي مَرَاراً وَأَغْضَبُ
خَفَضْتُ لَهُمْ مِنِّي جَنَاحِي مَوَدَّةً إِلَى كَنَفِ عِطْفَاءِ أَهْلٍ وَمَرْحَبُ

(١) حشد على الحق: يحشدون جنودهم دفاعاً عن الحق. الخنا: الفحشاء.

(٢) تدجت: أظلمت. المعتصر: الملجأ.

(٣) شمس: جمع شمس أي عسير، ومعنى "شمس العدواة حتى يستقاد لهم": أي أنهم يتكلمون بأعدائهم ماداموا ينثرون عليهم ويعصفونهم.

وَكَنْتُ لَهُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ
وَأَرْمَى وَأَرْمَى بِالْعَدَاوَةِ أَهْلَهَا
مَجْنَأً عَلَى أَنِّي أُذَمُّ وَأُقَصَّبُ^(١)
وَأَنِّي لَأُودَى فِيهِمْ وَأُوْتَبُّ

والخوارج فئات كثيرة ولهم شعراؤهم، وقد ناصبوا الدولة الأموية العداوة.
وقد أشاد شعراء الزبيريين بانتصارات مصعب بن الزبير في العراق، ومن أبرز شعراء الزبيريين
عبيد الله بن قيس الرقيات الذي يقول في مصعب:

إِنَّمَا مُصْعَبٌ شَهَابٌ مِنَ اللَّهِ
تَجَلَّيْتُ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاءُ
مُلْكُهُ مُلْكُ عِزَّةٍ لَيْسَ فِيهِ
جَبْرُوتٌ وَلَا بِهِ كِبَرِيَاءُ

المدح:

اهتم الخلفاء والأمراء بتأييد الشعر لأن الشعر يهيمن على النفوس ويتناقله الناس بيسر
وسهولة، فلا تجد مجلساً من المجالس إلا ويذكر فيه الشعر، وبنو أمية يعرفون سلطان الشعر على
نفوس العرب، وهم في أمس الحاجة إلى الإشادة بهم وتأييدهم أمام خصومهم الكثيرين من شيعة
وخوارج وزبيريين.

والمدح في العصر الأموي لم يقتصر على بني أمية وقوادهم ولكن المديح الذي قيل في هؤلاء
يمثل نسبة عالية من المديح الذي قيل في العصر الأموي، وشعر المدح يقال عادة في الخليفة والأمراء
والقواد.

ومن أشهر شعراء المدح في هذا العصر: الأخطل وجرير والفرزدق وذو الرمة ونُصيب^(٢) ولبلى
الأخيلية^(٣) وأبو نخيلة^(٤) وزيد الأعجم^(٥). والمعاني التي قال فيها هؤلاء الشعراء مديحهم لا تختلف
كثيراً عن معاني المدح في العصر الجاهلي من شجاعة وكرم ووفاء وحلم ونجدة ومروءة ونبل.

(١) أقصب: أشتتم.

(٢) هو نصيب بن رباح من شعراء الدولة الأموية توفي سنة ١٠٨هـ.

(٣) شاعرة أموية توفيت سنة ٨٠هـ.

(٤) أبو نخيلة شاعر أموي وهذا هو اسمه فهو أبو نخيلة بن حزن من بني حمان من تميم امتد به العمر حتى قيام الدولة العباسية حيث قتل سنة ١٤٥هـ.

(٥) زيد الأعجم: هو زيد بن سليمان الأعجم من موالي عبد القيس وسمى بالأعجم؛ لأنه في لسانه عجمة، نشأ في أصفهان، وعاش في خراسان حيث توفي بها سنة ١٠٠هـ.

ومن أبيات المدح التي تجمع كثيراً من المعاني الآنفه الذكر قول زياد الأعجم في عبد الله بن الحشر الجعدي:

إن السامحة والمروءة والندي في قبة ضربت على ابن الحشر
ملك أغر متوج ذو نائل للمعتفين يمينه لم تشنج^(١)
لما أتيتك راجياً لنوالكم ألفت باب نوالكم لم يرتج

ويشمل المدح المعاني الإسلامية ولكنها قليلة إذا قيست بالمعاني المتوارثة منذ العصر الجاهلي.

الهجاء:

لما قامت الدولة الأموية على أساس التعصب لبني أمية كان ذلك إيذاناً بفتح الباب على مصراعيه لتعصب العرب لقبائلهم، وبعث ما كانت تعتر به القبائل وتقلل من شأن خصومها التقليديين في الجاهلية، وهذا باب سده الإسلام في زمن الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين. فالهجاء في العصر الأموي امتداد للهجاء في العصر الجاهلي، فالأصل فيه التقليل من شأن المهجو وإلحاق النقائص به سواء كان فرداً أو قبيلة.

والشعراء الهجاؤون في هذا العصر كثيرون منهم جرير، والفرزدق، وثابت قطنة^(٢) وغيرهم.

النقائض:

النقائض قصائد ينقض بعضها بعضاً؛ وذلك بأن يقول شاعر قصيدة يفتخر فيها بنفسه وقبيلته ويُعرض بشاعر آخر أو يهجو قبيلة ذلك الشاعر، فإذا سمع الشاعر المهجو تلك القصيدة نقضها أي: نقض معانيها بالرد عليها وفضح أكاذيبها. ولا بد من اتفاق القصيدتين البائدة بالهجاء والمنقوضة في: البحر، والقافية.

(١) المعتفون: الطالبون العطاء. تشنج: تنقبض.

(٢) هو: ثابت بن كعب بن جابر العتكي من الأزد شهد كثيراً من الوقائع في خراسان.

وقد عرفت النقائض في العصر الجاهلي، ثم توسع فيها شعراء مكة والمدينة قبل فتح مكة، وفي العصر الأموي ازدهر شعر النقائض، لوجود مسرح دائم للشعر وهو (سوق المربد) في البصرة، الذي اتخذ شعراء النقائض مكاناً لإلقاء القصائد التي تلحق العار والخزي بالقبيلة المهجوة أو بشاعر تلك القبيلة، ويجد الشاعر في جمهور ذلك السوق خير معين له على التشهير بخصمه. وقد تحولت قصائد النقائض بشعرائها وجمهورها إلى نوع من أنواع التسلية في ذلك السوق الذي تحتشد فيه جموع غفيرة من القبائل العربية.

ومن أشهر شعراء النقائض في العصر الأموي: جرير، والفرزدق، والأخطل، والبعيث الجاشعي، والراعي النميري، ولكن أشهر هؤلاء جرير الذي اشتهر بنقائضه مع الفرزدق والأخطل وغيرهما من شعراء النقائض في عصره.

وأشهر نقائض عرفت في العصر الأموي هي ما كان بين جرير والفرزدق، وقد استمرت النقائض بينهما خمسة وأربعين عاماً، ثم النقائض بين جرير والأخطل وقد استمرت بينهما تسعة عشر عاماً، وأما النقائض بين جرير وسائر الشعراء فهي كثيرة. ونورد هنا بعض الأبيات لأشهر قصيدتين في النقائض بين الفرزدق وجرير، قال الفرزدق:

فما أنت من قيس فتنبح دونها	ولا من تميم في الرؤوس الأعظم
وهل يابن تفر الكلب مثل سيوفنا	سيوف ولا قبص العديد القماقم ^(١)
فلو كنت منهم لم تعب مذحتي لهم	ولكن حمار وشيه بالقوائم
فيا عجباً حتى كليب تسبني	وكانت كليب مذجاً للمشاتم ^(٢)

(١) تفر الكلب: فرج الكلب. قبص: العدد الكثير. القماقم: السيد الكثير الخير.

(٢) كليب: قبيلة جرير. ومعنى الشطر الثاني: أن من أراد شتمها وجد فيها مشتماً.

وقد نقض جرير قصيدة الفرزدق بقصيدة منها:

لَقَدْ وَلَدَتْ أُمُّ الْفَرَزْدَقِ فَاجِرًا وجاءت بوزوارٍ قصير القوائم^(١)
وما كان جارًّا للفرزدق مُسَلِّمًا ليأمن قِرْدًا لَيْلُهُ غَيْرُ نَائِمٍ
يُوصِّلُ حَبْلِيهِ إِذَا جَنَّ لَيْلُهُ لِيَرْقَى إِلَى جَارَاتِهِ بِالسَّلَالِمِ
وَإِنِّي وَقَيْسًا يَا ابْنَ قَيْنٍ مُجَاشِعٍ كريمٌ أَصَفِي مَذْحَتِي لِلْكَارِمِ^(٢)

ومن نقائض الأخطل وجرير قول الأخطل في جرير:

إِحْسًا إِلَيْكَ كَأَيْبُ إِنَّ مُجَاشِعًا وأبا الفوارس نَهْشَلًا أَخَوَانِ
وَإِذَا وَرَدَتِ الْمَاءَ كَانَ لِـدَارِمٍ جُمَّاتُهُ وَسُهُولَةُ الْأَعْطَانِ^(٣)
وَإِذَا قَذِفْتَ أَبَاكَ فِي مِيزَانِهِمْ رَجَحُوا وَشَالَ أَبُوكَ فِي الْمِيزَانِ^(٤)

وقد نقضها جرير بقوله:

يَاذَا الْعَبَاءَ إِنَّ بَشْرًا قَدْ قَضَى أَلَّا تَجُوزَ حُكُومَةُ النَّشْوَانِ^(٥)
فَدَعُوا الْحُكُومَةَ لَسُنُّمٍ مِنْ أَهْلِهَا إِنَّ الْحُكُومَةَ فِي بَنِي شَيْبَانَ^(٦)
فَتَلُّوا كُلَّيْكُمْ بِالْقَحَّةِ جَارِهِمْ يَا خُزْرَ تَغْلِبَ لَسُنُّمٌ بِهِجَانِ^(٧)

شعر الفتوح والدعوة الإسلامية:

شعر الفتوح والدعوة الإسلامية في العصر الأموي امتداد لشعر الدعوة والفتح الإسلامي في عصر صدر الإسلام، فالدعوة إلى الله مستمرة، والجهاد في سبيل الله حمل لواءه الصحابة والتابعون

(١) الوزواز: الخفيف على الأرض.

(٢) قيس: قبيلة مضرية. القين: العبد. مجاشع: قبيلة الفرزدق.

(٣) الجمة: مجتمع الماء ومعظمه. الأعطان: مناخ الإبل حول الحوض.

(٤) شال الميزان: ارتفعت إحدى كفتيه.

(٥) ذو العباءة: الأخطل لأنه يلبسها. وبشر: هو بشر بن مروان.

(٦) بنو شيبان: هم بنو شيبان بن ذهل من بكر بن وائل.

(٧) كليب: هو كليب بن ربيعة. اللقحة: الناقة الحلوب. خزر: جمع أخزر وهو الأحول. الهجان: البيض الكرام.

وتبعهم سلفهم في العصر الأموي، إلا أن الجهاد يفتقر في زمن الفتن التي تحدث بين المسلمين ثم يعود قوياً ليستأنف مسيرته.

ودولة بني أمية هي الدولة التي شهدت فيها الفتوح الإسلامية أقصى اتساعها، حين امتدت الدولة الإسلامية من الأندلس وفرنسا غرباً حتى الصين شرقاً، وقد صاحب تلك الفتوح شعر يصورها ويصف إيمان الجندي المسلم وثباته وصبره. لأن الجنود المقاتلين فيهم الكثير من الشعراء.

يقول كعب الأشقر:

والتَرْكُ تَعْلَمُ إِذْ لَأَقَى جُمُوعَهُمْ أَنْ قَدْ لَقُوهُ شُهَاباً يَفْرِجُ الظُّلُمَا^(١)
بِفَتِيَةٍ كَأَسْوَدِ الْعَابِ لَمْ يَجِدُوا غَيْرَ النَّاسِي وَغَيْرَ الصَّبْرِ مُعْتَصِمَا
فِي حَازَةِ الْمَوْتِ حَتَّى جَنَّ لَيْلُهُمْ كَلَا الْفَرِيقَيْنِ مَا وَلَى وَلَا انْهَزَمَا^(٢)

ويقول سودة بن عبد الله السلولي في وصف وفد الدعوة الذي أرسله قتيبة بن مسلم الباهلي إلى ملك الصين في زمن الوليد بن عبد الملك، وكان يرأس ذلك الوفد هبيرة بن المشمرج الكلابي، وقد سار ذلك الوفد إلى ملك الصين وعرض عليه الإسلام، وبعد محادثات بين الجانبين رضي ملك الصين بدفع الجزية للمسلمين، وعاد الوفد إلى قتيبة بن مسلم، يقول سودة:

لَا عَيْبَ فِي الْوَفْدِ الَّذِينَ بَعَثَتْهُمْ لِلصِّينِ إِنْ سَلَكُوا طَرِيقَ الْمُنْهَجِ^(٣)
كَسَرُوا الْجُفُونَ عَلَى الْقَدَى خَوْفَ حَاشَا الْكَرِيمِ هَبِيرَةَ بْنِ مُشْمَرَجٍ
لَمْ يَرْضَ غَيْرَ الْخَتَمِ فِي أَغْنَاقِهِمْ وَرَهَائِنِ دُفِعَتْ بِحِمْلِ سَمَرَجٍ^(٤)
أَدَّى رِسَالَتَكَ الَّتِي اسْتَرْعَيْتَهُ وَأَتَاكَ مِنْ جُنْثِ الْيَمِينِ بِمَخْرَجٍ^(٥)

والمعاني التي يشتمل عليها شعر الفتوح والدعوة الإسلامية لا تكاد تخرج عن الحماسة والحث على الجهاد وقتال الأعداء - كما تقدم - أو رثاء من يقتل في سبيل الله، أو الحنين إلى الأوطان.

(١) الضمير في (لقوه) يعود إلى يزيد بن المهلب.

(٢) تاريخ الطبري ٣٥٢/٦. والحازة: الشدة.

(٣) المخاطب قتيبة بن مسلم.

(٤) كان قتيبة قد أقسم أن يطأ أرض الصين وأن يختم على رقاب ملوكهم وأن يأخذ الجزية. والسمرج: الخراج.

(٥) كان ملك الصين قد بعث بتراب من أرض الصين ليطأه قتيبة فيبر بقسمه.

وقد اشتهرت عدد من القصائد في الحنين إلى الوطن دون معرفة قائلها.

ومن شعر الحنين إلى الوطن قول الصمة بن عبد الله القشيري^(١):

أَقُولُ لِصَاحِبِي وَالْعَيْسُ تَهْوِي بِنَا بَيْنَ الْمُنِيفَةِ فَالضِّمَارِ^(٢)
تَمَتَّعَ مِنْ شَمِيمِ عَرَّارٍ نَجْدٍ فَمَا بَعْدَ الْعَشِيَّةِ مِنْ عَرَّارٍ^(٣)
أَلَا يَاحَبِّدًا نَفَحَاتُ نَجْدٍ وَرِيًّا رَوْضِهِ بَعْدَ الْقَطَارِ^(٤)
وَأَهْلُكَ إِذْ يَحُلُّ الْحَيُّ نَجْدًا وَأَنْتَ عَلَى زَمَانِكَ غَيْرُ زَارٍ^(٥)
شُهُورٌ يَنْقُضِينَ وَمَا شَعَرْنَا بِأَنْصَافٍ لَهْنٍ وَلَا سِرَّارٍ^(٦)

(١) الصمة بن عبد الله القشيري شاعر أموي، عاش معظم حياته جندياً يقاتل في سبيل الله في بلاد خراسان وما والاها شرقاً، وقد حن كثيراً إلى

بلاده نجد التي انتقل منها في أيام شبابه، وقد توفي في طبرستان سنة ٩٥هـ.

(٢) المنيفة: ماء بالقرب من حفر الباطن، الضمار: موضع قريب من حفر الباطن.

(٣) العرار: نبت طيب الرائحة، وله زهر أصفر.

(٤) الريا: الريح الطيبة. القطار: جمع قطر وهو المطر.

(٥) زاري: عائب ومعاتب.

(٦) السرار: آخر ليلة من الشهر. والأبيات في ديوان الصمة ص ٧٨.

خصائص الشعر في العصر الأموي

- ١- الجمع بين المعاني الجاهلية والإسلامية.
- ٢- التوسع في المعاني الإسلامية من شرح للعقيدة الإسلامية، وتوضيح طريقة الدعوة، والتفاني في سبيل العقيدة، والدعوة إلى الجهاد.
- ٣- التوسع في الأغراض التقليدية حيث أصبح المدح بالإيمان، والهجاء بالكفر والشرك والفسق، والفخر بنصر الإسلام، واستنهاض الهمم لقتال الكفار.
- ٤- التنوع الواسع في المعاني ودقتها، والأخذ من ثقافات الشعوب المفتوحة وتاريخها ومعارفها.
- ٥- الترتيب في المعاني في بعض القصائد.
- ٦- ظهور معاني جديدة كالجدل السياسي والديني عند شعراء الفرق المختلفة، ووجود النقائض التي تعتبر تطوراً لغرض الهجاء.
- ٧- ظهور شعراء من أصول غير عربية يفتخرون بأصولهم وأمهم ويفضلونها على العرب فيما يعرف بالشعر الشعوبي. ومن شعراء هذا اللون إسماعيل بن يسار.
- ٨- التنوع في قوة الأسلوب، ما بين قوي يمثله كبار الشعراء كالفرزدق وجريز والأخطل وذو الرمة خاصة في غرضي المدح والهجاء، وسهل رقيق نجده عند شعراء الغزل كجميل بثينة وكثير عزة وقيس بن ذريح وعمر بن أبي ربيعة، وأسلوب ثالث وسط بين القوة والسهولة كمعظم شعر الفتوح وشعر الخوارج.
- ٩- تأثير البيئة في الشعر. فنجد شعر الحجاز يختلف عن شعر نجد، وكذا شعر العراق وأهل الشام؛ ذلك أن هذه البيئات اختلفت حيث تزخر البيئة العراقية بالصراعات السياسية والدينية، وبيئة الحجاز تميزت برفاهة العيش، ويختلف مركز الخلافة في الشام عن غيره، بينما لم تتغير كثيراً بيئة نجد.

نماذج من الشعر الأموي

(١) الفرزدق يفتخر بقومه:

- ١- لَنَا الْعِرْزَةُ الْقَعَسَاءُ وَالْعَدَدُ الَّذِي عَلَيْهِ إِذَا عُدَّ الْحَصَى يَتَخَلَّفُ^(١)
- ٢- وَلَوْ شَرِبَ الْكَلْبَى الْمَرَضُ دِمَاءَنَا شَفَنُهَا وَذُو الْخَبْلِ الَّذِي هُوَ أَذْنَفُ^(٢)
- ٣- تَرَى النَّاسَ مَا سِرْنَا يَسِيرُونَ خَلْفَنَا وَإِنْ نَحْنُ أَوْمَانَا إِلَى النَّاسِ وَقَفُوا
- ٤- وَلَا عِزًّا إِلَّا عِزُّنَا قَاهِرٌ لَهُ وَيَسْأَلُنَا النَّصَفَ الدَّلِيلُ فَنُنْصِفُ^(٣)
- ٥- وَقَدْ عَلِمَ الْجِيرَانُ أَنَّ قُدُورَنَا ضَوَامِنُ لِلْأَرْزَاقِ وَالرَّيْحُ زَفْرَفُ^(٤)
- ٦- نُعَجِّلُ لِلضَّيْفَانِ فِي الْمَحَلِّ بِالْقِرَى قُدُورًا بِمَغْبُوطٍ تُمَدُّ وَتُعْرَفُ^(٥)
- ٧- تُفَرِّغُ فِي شِيزَى كَأَنَّ جِفَانَهَا حِيَاضُ جَبَى مِنْهَا مِلَاءٌ وَنُصَفُ^(٦)
- ٨- تَرَى حَوْلَهُنَّ الْمُعْتَفِينَ كَأَنَّهُمْ عَلَى صَنِمٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ عُكْفُ^(٧)
- ٩- وَمَا حَلَّ مِنْ جَهْلٍ حُبَى حُلَمَانِنَا وَلَا قَائِلُ الْمَعْرُوفِ فِينَا يُعْتَفُ
- ١٠- وَمَا قَامَ مَنَا قَائِمٌ فِي نَدِينَا فَيَنْطِقُ إِلَّا بِأَلْتِي هِيَ أَعْرَفُ^(٨)
- ١١- وَجَهْلٍ بِحِلْمٍ قَدْ دَفَعْنَا جُنُونَهُ وَمَا كَانَ لَوْ لَا عِزُّنَا يَتَزَحْلَفُ^(٩)
- ١٢- رَجَحْنَا بِهِمْ حَتَّى اسْتَتَابُوا حُلُومَهُمْ بِنَا بَعْدَ مَا كَادَ الْقَنَا يَتَقَصِّفُ^(١٠)

(١) القعساء: الثابتة.

(٢) الكلبي: الذين هم داء الكلب وهو عض الكلب. الخبل: الجنون. أذنف: أكثر مرضاً.

(٣) النصف: الإنصاف.

(٤) زفر: شديدة الهبوب باردة.

(٥) المغبوط: لحم الإبل الصحيحات. تمد: يأتيها مدد.

(٦) الشيزي: الجفان المصنوعة من خشب الشيز، حياض جي: أي جي فيها الماء.

(٧) المعتفي: من يطلب الرزق.

(٨) الندي: المجلس. أعرف: أقرب للمعروف.

(٩) يتزحلف: يتنحي ويتباعد.

(١٠) استتابوا حلومهم: رجعت إليهم حلومهم. يتقصف: يتكسر. والقصيدة في جمهرة أشعار العرب ٨٧٦/٢.

(٢) الأخطل يمدح بني أمية(*) :

- ١- إني حلفتُ بربِّ الرَّاقيصَاتِ وما
- ٢- لألجأتُنِّي قُرَيْشٌ خَائِفًا وَجَلًّا
- ٣- الْمُنْعِمُونَ بَنُو حَرْبٍ وَقَدْ حَدَقْتُ
- ٤- قَوْمٌ يُجْلُونَ عَنْ أَحْيَائِهَا ظُلْمًا
- ٥- قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا شَدُّوا مَازَرَهُمْ
- ٦- هَيُّونَ لَيُّونَ أَيْسَارَ ذُووِ كَرَمٍ
- ٧- لَا يَنْطِقُونَ بِفَحْشَاءٍ إِذَا نَطَقُوا
- ٨- مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقَلُّ لَاقَيْتُ سَيِّدَهُمْ
- أضحي بمكّة من حُجْبٍ وَأُسْتَارٍ^(١)
- وَمَوْلَانِي قُرَيْشٌ بَعْدَ إِقْتَارٍ^(٢)
- بِإِي الْمَنِيَّةِ وَاسْتَبْطَأْتُ
- حَتَّى تَكْشَفَ عَنْ سَمْعٍ وَإِبْصَارٍ^(٣)
- عَنِ النَّسَاءِ وَلَوْ بَاتَتْ بِأَطْهَارٍ
- سُوَّاسُ مَكْرَمَةٍ أَبْنَاءُ أَيْسَارٍ^(٤)
- وَلَا بِمَا دُونَ إِنْ مَارُوا بِإِكْتَارٍ^(٥)
- مِثْلَ النُّجُومِ الَّتِي يَسْرِي بِهَا السَّارِي

(٣) جرير يهجو قبيلة تغلب قوم الأخطل:

- ١- إني حلفتُ فلنْ أَعَايِي تَغْلِبًا
- ٢- قَبَحَ إِلَهِهُ وَجْوهَ تَغْلِبَ إِنَّهَا
- ٣- قَبَحَ إِلَهِهُ وَجْوهَ تَغْلِبَ كُلَّمَا
- ٤- عَبَدُوا الصَّلَيبَ وَكَذَّبُوا بِمُحَمَّدٍ
- ٥- لَا تَطْلُبَنَّ خُؤُولَةً مِنْ تَغْلِبٍ
- لِلظَّالِمِينَ عُقُوبَةً وَنَكَالًا
- هَانَتْ عَلَيَّ مَعَاطِسًا وَسِبَالًا^(٦)
- لَبَّى الْحَجِيجُ وَكَبَّرُوا إِهْلَالًا
- وَجَبَّرُوا لَيْلَ وَكَذَّبُوا مِيكَالًا
- فَالزَّنَجُ أَكْرَمُ مِنْهُمْ أَخْوَالًا

(*) الأخطل: هو غياث بن غوث بن الصلت التغلبي النصراني، نشأ في الحيرة في العراق واتصل بخلفاء بني أمية ومدحهم بقصائد كثيرة، وقد توفي

سنة ٩٠هـ.

(١) الراقصات: الإبل الساعية إلى مكة. والحجب والأستار: كساء الكعبة.

(٢) يقول أقسم أن قريشاً الجأني وأمنتني بعد تهديد الأنصار لي.

(٣) حدقت: أحاطت.

(٤) أحيائها: جمع حي وهي الجماعة.

(٥) شرس: قوة.

(٦) ماروا: عاشوا في نعمة. والقصيدة في ديوانه ص ٨٣.

(٧) المعاطس: الأنوف. والسبال: شعر الشارب.

- ٦- هل تَمْلِكُونَ من المشاعِرِ مَشْعَرًا أو تَنْزِلُونَ من الأَرَاكِ ظِلَالًا^(١)
 ٧- لَوْلَا الْجَزَى قُسِمَ السَّوَادُ وَتَغْلِبَ للمسلمينَ فَأَصْبَحُوا أَنْفَالًا^(٢)
 ٨- لَوْ أَنَّ تَغْلِبَ جَمَعَتْ أَحْسَابَهَا يَوْمَ التَّقَاضِلِ لَمْ تَزِنْ مِثْقَالًا

(٤) مالك بن الرِّيب يرثي نفسه لما أحسَّ بقرب منيته^(*):

- ١- أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبَيْتَنَ لَيْلَةً بجنبِ الغضا أُرْجِي القِلاصَ النَوَاجِيَا^(٣)
 ٢- أَلَمْ تَرْنِي بَعْتُ الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَأَصْبَحْتُ فِي جَيْشِ ابْنِ عَفَّانَ
 ٣- فَلِلَّهِ دَرِّي يَوْمَ أَثْرُكُ طَائِعًا بَنِيَّ بِأَعْلَى الرَّقْمَتَيْنِ وَمَالِيَا^(٤)
 ٤- وَدِرَّ الظُّبَاءِ السَّانِحَاتِ عَشِيَّةً يُخَبِّرُنَ أَنِّي هَالِكٌ مَنْ وَرَائِيَا
 ٥- تَذَكَّرْتُ مَنْ يَبْكِي عَلَيَّ فَلَمْ أَجِدْ سِوَى السَّيْفِ وَالرَّمْحِ الرُّدَيْنِيَّ
 ٦- وَلَمَّا تَرَاءَتْ عِنْدَ مَرَوْ مَنِيَّتِي وَحَلَّ بِهَا سُقْمِي وَحَانَتْ وَفَاتِيَا^(٥)
 ٧- أَقُولُ لِأَصْحَابِي أَرْفَعُونِي فَإِنِّي يَقَرُّ بَعِينِي أَنْ سُهَيْلٌ بَدَا لِيَا^(٦)
 ٨- وَيَا صَاحِبِي رَخْلِي دَنَا الْمَوْتُ بِرَايِيَةِ إِنِّي مَقِيمٌ لِيَالِيَا
 ٩- أَقْبِمَا عَلَيَّ الْيَوْمَ أَوْ بَعْضَ لَيْلَةٍ وَلَا تُعْجِلَانِي قَدْ تَبَيَّنَ مَا بِيَا
 ١٠- وَقُومًا إِذَا مَا اسْتُلَّ رُوحِي فَهَيَّيَا لِي السِّدْرَ وَالْأَكْفَانَ ثُمَّ ابْكِيَا لِيَا
 ١١- وَخُطًّا بِأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ مَضْجَعِي وَرُدًّا عَلَى عَيْنِي قُضْلَ رَدَائِيَا
 ١٢- وَلَا تَحْسُدَانِي بَارِكِ اللَّهُ فِيكُمَا مِنَ الْأَرْضِ ذَاتِ الْعَرَضِ أَنْ تَوْسِعَا

(١) الأراك: أراك عرفة، أي إهم لا يحجون ولا يحلون بأراك عرفة لأهم نصارى.

(٢) الجزى: جمع جزية وهي ما يدفعه النصارى للمسلمين. السواد: ريف العراق. أنفال: غنائم. والقصيدة في ديوان جرير ص ٤٥٠.

(*) مالك بن الريب: شاعر من بني تميم كان لصاً في أول حياته ثم انضم إلى الجيوش الإسلامية في خراسان وقد توفي في مرو سنة ٦٠هـ.

(٣) الغضى: شجر ينبت في الرمل. أزجي: أسوق. القلاص: جمع قلوص وهي الفتية من الإبل. النواحي: السريعة.

(٤) ابن عفان: يعني سعيد بن عثمان بن عفان، ولده معاوية على خراسان.

(٥) الرقمتين: اسم المكان الذي فيه أهله.

(٦) الرديني: نسبة إلى ردينة وهي امرأة تبيع الرماح في الخط (القطيف).

(٧) مرو: عاصمة خراسان.

(٨) سهيل: نجم بماني لا يرى في خراسان.

- ١٣- خُذَانِي فَجُرَّانِي بِرُزْدِي إِلَيْكُمَا
 ١٤- يَقُولُونَ لَا تَبْعُدْ وَهُمْ يَدْفَنُونَنِي
 ١٥- غَدَاةً غَدٍ يَالْهَفَ نَفْسِي عَلَى غَدٍ
 فقد كنت قبل اليوم صعباً قيادياً
 وأين مكان البُعدِ إلا مكانياً^(١)
 إذا أذلجوا عني وخلفت ثاويًا

(٥) قصيدة الراعي النميري في شكوى عمال الزكاة(*) :

- ١- أَخْلَيْفَةُ الرَّحْمَنِ إِنَّا مَعْشَرٌ
 ٢- عَرَبٌ نَرَى اللَّهَ فِي أَمْوَالِنَا
 ٣- إِنَّ السُّعَاةَ عَصَوْكَ يَوْمَ أَمَرْتَهُمْ
 ٤- أَخْلَيْفَةُ الرَّحْمَنِ إِنَّ عَشِيرَتِي
 ٥- قَوْمٌ عَلَى الْإِسْلَامِ لَمَّا يَتَرَكُوا
 ٦- أَنْتَ الْخَلِيفَةُ عَذْلُهُ وَنَوَالُهُ
 ٧- فَادْفَعْ مَظَالِمَ عَيْلَتِ أَبْنَاءِنَا
 ٨- فَتَرَى عَطِيَّةَ ذَاكَ، إِنَّ أُعْطِيَّتُهُ
 ٩- إِنَّ الَّذِينَ أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَعْدِلُوا
 ١٠- أَخَذُوا الْكِرَامَ مِنَ الْعِشَارِ ظُلَامَةً
 خُنَفَاءُ نَسَجْدُ بَكْرَةً وَأَصِيلًا
 حَقَّ الزَّكَاةِ مُنْزَلًا تَنْزِيلًا
 وَأَتَوْا دَوَاهِيَّ لَوْ عَلِمْتَ وَغُولًا^(٢)
 أَمْسَى سَوَامُهُمْ عَزِينَ، فُلُولًا^(٣)
 مَاغُونَهُمْ وَيُضَايِعُوا التَّهْلِيلًا
 وَإِذَا أَرَدْتَ لِظَالِمٍ تَنْكِيلًا
 عَنَّا وَأَنْقِذْ شِلُونَا الْمَأْكُولًا^(٤)
 مِنْ رَبَّنَا فَضْلًا، وَمِنْكَ جَزِيلًا
 لَمْ يَفْعَلُوا مِمَّا أَمَرْتَ فَتِيلًا^(٥)
 مِنَّا وَتُكْتَبُ لِلْأَمِيرِ أَفِيلًا^(٦)

(١) البعد: الهلاك. والقصيدة في جمهرة أشعار العرب ٧٥٨/٢.

(*) الراعي النميري: هو عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل من بني نمير، شاعر فحل، توفي سنة ٩٠ هـ.

(٢) غول: دواهي.

(٣) عزين: فلول: متفرقة.

(٤) عيلت: التعييل: سوء الغذاء، الشلو: العضو.

(٥) الفتيل: ما يكون في شق النواة، والمقصود: أقل القليل.

(٦) الأفيل: الصغير. والقصيدة في جمهرة أشعار العرب ٩٢٢/٢.

دراسة مُفصَّلة للشاعرين: جرير والفرزدق:

جرير

حياته:

هو جرير بن عطية بن الخَطَفَى التميمي، وأبوه عطية ليس له شأن فهو قليل الفطنة وقليل المال، أما جدُّه الخطفي فكان يقول الشعر وهو صاحب ثروة من الغنم والحمير. ولجرير أخوان هما عمرو وأبو الورد. وله من الأبناء ثمانية، ومن البنات اثنتان وكنيته أبو حزره.

وينتسب جرير لقبيلة كليب اليربوعية التميمية، ومساكن هذه القبيلة في صحراء المروت الواقعة في الوشم، وقبيلة كليب هذه ليس لها شأن؛ فجرير عندما يفتخر، يفتخر بقبيلته الكبيرة يربوع أو يفخر بقومه بني تميم، وقد استغل الفرزدق ضعف قبيلة كليب وعدم نباهتها فأخذ يعير جريراً بقبيلته هذه وأنها لا تملك إلا الأتْن والأغنام، ولا تملك إلا البُل وليس لها أموال كقبائل تميم الأخرى.

وقد نشأ جرير وعاش معظم حياته في صحراء المروت في الوشم، إلا أن قومه بني يربوع دعوه للإقامة في البصرة لما رأوا الفرزدق يقيم بها وينظم الأشعار في هجاء جرير وقومه، فاستجاب جرير لقومه وانحدر إلى البصرة وأقام فيها سنوات وكان ينشد شعره في سوق المربد وقد استعر الهجاء بينه وبين الفرزدق في سوق المربد، فاضطر عامل ابن الزبير على البصرة إلى هدم بيتيهما.

وجرير يتصف بالعفة وطهارة النفس والتمسك بالدين، فغزله في زوجاته وإمائه، وهجاؤه دفاع عن النفس وقبيلته. وقد عاش عيشة طيبة، فمدحه يدر عليه الأموال الطائلة إذ أنه مدح عبد الملك فأعطاه مئة ناقة جائزة له على قصيدة واحدة. ولجرير صلات وثيقة مع ولاة اليمامة لأنه يحتاج إليهم. وقد مدح المهاجر بن عبد الله ببعض القصائد.

وقد توفي جرير سنة إحدى عشرة ومئة عن عمر يتجاوز الثمانين عاماً.

شعره:

شعر جرير يشمل الهجاء والمدح والثناء والغزل، وهو شعر يرق في الغزل ويكون قوياً في المدح والهجاء، وشعره كثير ومتنوع، وكان يقول عن نفسه: (أنا مدينة الشعر). وجرير شاعر مطبوع يقول الشعر استجابة لسجيته وطبيعته؛ فشعره خال من التكلف وهذا هو السبب الذي جعل أسلوبه عذباً ليناً لا قسوة فيه ولا جفاء. وأكثر شعره في الهجاء ثم يليه المدح، وله رثاء جيد، أما غزله فهو قليل، وجرير رجز ولكنه قليل، وهذه هي أهم أغراض شعره:

الهجاء:

الهجاء من أشهر أغراض شعره فقد تماهى مع ثلاثة وأربعين شاعراً، وقيل أكثر من ذلك، وهجاء جرير من أقسى الهجاء، وقد صمد في هجائه لعدد كبير من الشعراء حتى أخذ يقول:

عوى الشعراء بعضُهُمْ لِبَعْضٍ عليّ فقد أصابَهُمْ انْتِقَامُ
إذا أرسلتُ قافيةً شَرُّوداً رأوا أخرى تُحَرِّقُ فاستَدَامُوا^(١)
فمُصْطَلَمُ الْمَسَامِعِ أو خَصِيٍّ وآخر عَظُمَ هَامَتِهِ حُطَامُ^(٢)

وإذا نظرنا إلى هجائه وجدناه موجعاً وسائراً بين الناس؛ فقصيدته في بني نمير أخزتهم، وأخذ الناس يتناقلون هذا البيت:

فغضَّ الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

ومن هجائه قوله يهجو الأخطل وقبيلته تغلب:

خابثُ بنو تغلبٍ إِذِ ضَلَّ فارطُهُم^(٣) حوضَ المكارمِ إنَّ المجدَ مُبْتَدَرُ
الظاعنون علي العمياء إن ظعنوا والسائلون بَطَّهرَ الغيب مالخبرُ
أحياؤهم شرُّ أحياءٍ والأُممُ والأرضُ تَلْفِظُ موتاهم إذا قُبِروا
وما لتغلب إن عُدَّتْ مساعيها نجمٌ يضيءُ ولا شمسٌ ولا قمرُ

(١) استداموا: انتظروا.

(٢) الاصطلام: القطع. والأبيات في ديوان جرير ٥١٣.

(٣) الفارط: الذي يتقدم قبل الإبل ليسقيها.

المدح:

جرير من الشعراء الذين يُسَخَّرُونَ قصائد المدح لطلب المال فهو عندما يمدح خليفة من بني أمية أو عاملاً من عمالهم فإنما يمدحه من أجل العطاء، وهو يضيف على ممدوحه الصفات التقليدية من كرم وشجاعة ووفاء ولكن قصائد المدح لا تخلو من المعاني الإسلامية. فهو يقول في مدحه لعبد الملك بن مروان:

ثَقِيَ بِاللَّهِ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ	وَمَنْ عِنْدَ الْخَلِيفَةِ بِالنَّجَاحِ
أَغْنَنِي يَا فَدَاكَ أَبِي وَأُمِّي	بِسَيِّبٍ مِنْكَ إِنَّكَ ذُو ارْتِيَاكِ
فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ عَلِيَّ حَقًّا	زِيَارَتِي الْخَلِيفَةَ وَامْتِدَاحِي
سَأَشْكُرُ إِنْ رَدَدْتَ عَلَيَّ رِيثِي	وَأَنْبَتَ الْقَوَادِمَ فِي جَنَاحِي
أَلَسْتُ خَيْرَ مَنْ رَكَبَ الْمَطَايَا	وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونَ رَاحِ

وقد مدح الحجاج وعمر بن عبد العزيز والمهاجر بن عبد الله الكلابي وغيرهم من خلفاء بني أمية وعمالهم. وقد قال في عمر بن عبد العزيز:

نَالَ الْخِلَافَةَ إِذْ كَانَتْ لَهُ قَدْرًا كَمَا أَتَى رَبَّهُ مُوسَى عَلَى قَدَرٍ

ولكن عمر لم يعطه شيئاً وعندما رجع إلى قومه قال:

تَرَكْتُ لَكُمْ بِالشَّامِ حَبْلَ جَمَاعَةٍ أَمِينَ الْقُوَى مُسْتَحْصِدَ الْعَقْدِ بَاقِيَا

وَجَدْتُ رُقَى الشَّيْطَانِ لَا تَسْتَفِرُّهُ وَقَدْ كَانَ شَيْطَانِي مِنَ الْجِنِّ رَاقِيَا

الثناء:

لم يكن الشعر الذي قاله جرير في الرثاء كثيراً إذ لا يقارن بالمدح والهجاء ولكنه شعر خارج من القلب؛ فقد فقد زوجته ورثاها بشعر تظهر فيه لوحة الحزن وألم الفراق حيث يقول:

لَوْلَا الْحِيَاءُ لَعَادَنِي اسْتِعْبَارُ وَلَزُرْتُ قَبْرَكَ وَالْحَبِيبُ يُزَارُ

لَا يَلْبَثُ الْقُرْنَاءُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا لَيْلٌ يَكُرُّ عَلَيْهِمْ وَنَهَارُ

أما رثاؤه لابنه سودة فهو رثاء الأب الحاني على ابنه فهو يلتمس العزاء ولا يجده على الرغم من معرفته التامة لما يناله الصابر من الأجر، يقول جرير:

فَارَقَّتْنِي حِينَ كَفَّ الدَّهْرُ مِنْ بَصَرِي وَحِينَ صِرْتُ كَعَظْمِ الرِّمَّةِ الْبَالِي
إِلَّا تَكُنْ لَكَ بِالْدَّيْرَيْنِ بَاكِئَةً فَرُبَّ بَاكِئَةٍ بِالرَّمْلِ مِعْوَالٍ^(١)
قَالُوا نَصِيْبُكَ مِنْ أَجْرِ قَقُلْتُ لَهُمْ كَيْفَ الْعَزَاءُ وَقَدْ فَارَقْتَ أَشْبَالِي

الغزل:

يتميز غزل جرير بالركة والعدوبة، وهو قليل إذا قيس بالأغراض الأخرى، وجرير يبعد عن الفحش في غزله، ويمتاز بالركة واللين في أسلوبه، ومن غزل جرير قوله:

إِنَّ الْعُيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوْرٌ قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنَا قَتْلَانَا
يَصْرَعُنْ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حَرَكَ بِهِ وَهُنَّ أَضْعَفُ خَلْقِ اللَّهِ أَرْكَانَا
أَتَبِعْتُهُمْ مُقْلَةً إِنْسَانُهَا غَرِقٌ هَلْ مَا تَرَى تَارِكٌ لِلْعَيْنِ إِنْسَانًا

(١) الديرين: هما دير فطرس ودير بولس في غوطة دمشق وكان سودة قد مات هناك.

قصيدة جرير في مدح عبد الملك بن مروان

- ١- أَتَصْحُو أَمْ فَوَادُكَ غَيْرُ صَاحٍ عَشِيَّةً هَمَّ صَحْبُكَ بِالرَّوَّاحِ
- ٢- تَقُولُ الْعَاذِلَاتُ عِلَاكَ شَيْبٌ أَهَذَا الشَّيْبُ يَمْنَعُنِي مِرَاحِي
- ٣- تَعَزَّتْ أُمُّ حَزْرَةَ ثُمَّ قَالَتْ رَأَيْتِ الْوَارِدِينَ ذَوِي لِقَاحِ
- ٤- تُعَلِّلُ وَهِيَ سَاغِبَةٌ بَنِيهَا بِأَنْفَاسٍ مِنَ الشَّيْبِ الْقَرَّاحِ
- ٥- سَأَمْتَاخُ الْبَحُورَ فَجَنَّبِيْنِي أَذَاةَ اللَّوْمِ وَانْتَظِرِي امْتِيَاخِي
- ٦- ثَقِي بِاللَّهِ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ وَمَنْ عِنْدَ الْخَلِيفَةِ بِالْجَنَاحِ
- ٧- أَغْنَنِي يَافِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي بِسَيِّبٍ مِنْكَ إِنَّكَ ذُو ارْتِيَاخِ
- ٨- فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتَ عَلَيَّ حَقًّا زِيَارَتِي الْخَلِيفَةَ وَامْتِدَاخِي
- ٩- سَأَشْكُرُ إِنْ رَدَدْتَ عَلَيَّ رِيْشِي وَأُنَبِّتُ الْقَوَادِمَ فِي جَنَاحِي
- ١٠- أَلَسْتُ خَيْرَ مَنْ رَكَبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ
- ١١- أَبَحْتَ حَمَى تَهَامَةٍ بَعْدَ نَجْدٍ وَمَا شَيْءٌ حَمَيْتَ بِمُسْتَبَاحِ
- ١٢- لَكُمُ شُؤْمُ الْجِبَالِ مِنَ الرُّوَاسِي وَأَعْظَمُ سَيْلٍ مُعْتَلَجِ الْبَطَاحِ
- ١٣- فَمَا شَجَرَاتُ عَيْصِكَ فِي قَرِيْشٍ بِعَشَّاتِ الْفُرُوعِ وَلَا ضَوَاخِي
- ١٤- رَأَى النَّاسُ الْبَصِيرَةَ فَاسْتَقَامُوا وَبَيَّنَّتِ الْمِرَاضُ مِنَ الصِّحَاحِ

المناسبة:

كان جرير يقيم في العراق من وقت لآخر فيمدح الحجاج بقصائد جيدة، وعندما أكثر جرير من مدحه قال له: إن طاقتي تعجز عن مكافأتك ولكني سأرسلك إلى من هو أقدر مني وهو الخليفة عبد الملك بن مروان، فأرسل الحجاج جريراً إلى عبد الملك وكتب معه خطاباً إليه، وكان جرير قد أعد هذه القصيدة، وعندما أذن له بالدخول على عبد الملك أنشده هذه القصيدة، فأستحسنها الخليفة وقال لمن حوله: من مدحنا منكم فليمدحنا بمثل هذا أو ليسكت، وقد كافأ جريراً على قصيدته هذه مكافأة جزيلة وهي مئة من الإبل، وثمانية أعبد، ومحب من فضة.

شرح الأبيات:

- (١) أتصحو أيها الشاعر من الحيرة التي ألت بك في ذلك المساء الذي عزم فيه أصحابك على المسير أما يبقى سادراً في غيه وحيرته.
- (٢) لقد أكثرت النساء من لومي ورميي بالكبر وظهور الشيب، وردي على ذلك اللوم هو أن الشيب لا يمنع الرجل من أن يكون مرحاً.
- (٣-٤) أم حزرة: زوجة جرير. الواردين: أصحاب الإبل يوردونها الماء. لقاح: إبل كريمة. ساغبة: جائعة. أنفاس: جمع نفس والنفس: جرعة الماء. الشيم: البارد. والقراح: الخالص.
- عندما رأت أم حزرة وفرة اللبن عند الناس أخذت تعزي نفسها وهي أشد ما تكون من الجوع، وبدأت تلهي أبناءها بجرعات من الماء البارد النقي لعله يعوضهم عن اللبن المفقود.
- (٥-٦) الميح: العطاء
- سأطلب العطاء من خلفاء بني أمية الذين يشبهون البحور في كرمهم ونوالهم، فدعي لومي وانتظري عودتي بالعطاء. وثقي بالله أنني لن أعود من الخليفة خائباً بل سأنجح في مسعاي.
- (٧-٨) سيب: عطاء. ارتياح: تحرك للعطاء وهشاشة له.
- أنقذني أيها الخليفة بعطاء يمنع عني الفقر فإنني أراك ترتاح للعطاء وتهش له وقد، رأيت أن من واجبي زيارة الخليفة ومدحه.

(٩) القوادم: ريشات في جناح الطائر.

إِنِّي أَشْكُرُكَ أَيُّهَا الْخَلِيفَةُ عِنْدَمَا تَتَفَضَّلُ عَلَيَّ بِالْمَالِ الَّذِي يَكْسُونِي بِالزَّيْنَةِ كَمَا يَكْتَسِي الطَّائِرُ

بَرِيْشِهِ وَيَنْهَضُ بِي كَمَا تَنْهَضُ الْقَوَادِمُ بِالطَّائِرِ

(١٠) لَيْسَ غَرِيبًا عَلَيْكُمْ الْعَطَاءُ، فَأَنْتُمْ أَفْضَلُ مِنْ رَكَبِ الْإِبِلِ، وَأَنْتُمْ أَكْرَمُ النَّاسِ أَجْمَعِينَ فَأَيَّدِيكُمْ

مُسْتَمِرَّةً فِي الْعَطَاءِ

(١١) لِأَنَّكَ شَجَاعٌ وَمَهَابٌ فَإِنَّكَ تَحْمِي مَا تَشَاءُ وَتَبِيحُ الْحُمَى الَّذِي تَرِيدُ دُونَ أَنْ يَعْتَرِضَ أَحَدٌ

عَلَى ذَلِكَ.

(١٢) شَمٌّ: عَالِيَةٌ. مَعْتَلَجٌ: كَثِيرٌ يَرْكَبُ بَعْضُهُ بَعْضًا.

إِنَّكُمْ تَمْلِكُونَ الْجِبَالَ الْعَالِيَةَ الرَّاسِيَةَ، وَالْأَوْدِيَةَ الْعَظِيمَةَ، فَلَكُمْ جِبَالُ مَكَّةَ وَبَطْحَاوُهَا، فَأَنْتُمْ

أَهْلُهَا وَسَادَتُهَا.

(١٣) الْعَيْصُ: الْأَصْلُ وَهُوَ مَنْبَتُ خِيَارِ الشَّجَرِ. الْعَشَّةُ: الشَّجَرَةُ اللَّيْثِيَّةُ الْمَنْبَتُ الدَّقِيقَةُ الْقَضْبَانُ.

الضَّوَاحِي: بَادِيَةُ الْعِيدَانِ. وَالْعَيْصُ هُنَا: الْأَصْلُ

إِنْ أَصْلَكَ يَا عَبْدَ الْمَلِكِ فِي قَرِيْشٍ أَصْلَ رَاسِخٍ قَوِيٍّ الْجَذْوَرِ، سَالمٌ مِنَ اللَّؤْمِ وَالْدَّنَاءَةِ .

الفـرزـدق

حياته:

هو همام بن غالب بن صعصعة. من مجاشع بن دارم، وهي إحدى قبائل تميم المشهورة في الجاهلية والإسلام، وزعماء هذه القبيلة في الجاهلية هم أجداد الفرزدق؛ فجده صعصعة، كان كريماً عظيم القدر وكان ينهى قومه عن وأد البنات، وقد اشترى كثيراً من المؤذات قيل إنها تصل إلى أربع مئة، وقد وفد صعصعة على الرسول ﷺ وأسلم.

أما والد الفرزدق فهو غالب وكان زعيم مجاشع في الإسلام، وقد اشتهر بكرمه في عام المجاعة في زمن علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ حيث أخذ ينحر كل يوم عشرة من الإبل ويطعمها الفقراء، فقبيلة الفرزدق لها شأن عظيم في الجاهلية والإسلام وهذا هو السبب الذي جعل الفرزدق يفتخر بنسبه وقبيلته. ومساكن هذه القبيلة في كاظمة وما حولها الآن في الكويت، والفرزدق يقيم في البصرة أحياناً، ولكن معظم إقامته في البادية في مساكن قبيلته.

ولد الفرزدق في كاظمة، ونشأ في بيت عز وسيادة، والفرزدق لقبه، ولقب به لجهامة وجهه تشبيهاً له بالفرزدقة وهي الخبزة. وقد تربى الفرزدق على الصفات الجاهلية الموروثة من القبيلة ذات العز والشرف، وكان مطلعاً على تعاليم الإسلام ولكن معظم قيمه استمدتها من الجاهلية، فهو يجير من استجار بقبر أبيه غالب، وينحر الإبل على قبور أصدقائه الذين ماتوا قبله.

ومن صفات الفرزدق أنه ذكي، سريع الجواب، حاضر البديهة، عزيز النفس لا يُذِل نفسه أبداً. وقد تزوج الفرزدق أكثر من واحدة، ولكن زوجته النوار اشتهرت أكثر من غيرها لمطالبتها بالطلاق ورفع ذلك إلى ابن الزبير في مكة. وقد عاش الفرزدق حياة كريمة لا يتقرب فيها إلى الولاة والخلفاء فقد طلبه زياد بن أبيه والي العراق فهرب إلى سعيد بن العاص والي المدينة، فلما تولاهم مروان بن الحكم أنذره فخرج من المدينة، وفي هذه الفترة توفي زياد وتولى العراق ابنه عبيد الله فرجع الفرزدق إلى العراق.

وفي ولاية بشر بن مروان على العراق حسنت علاقة الفرزدق بالوالي لأن الفرزدق يرى أن بشراً أهل للصداقة لأنه أخو الخليفة، وأما علاقته بالحجاج فهي علاقة يلفها الخوف. ولم يفد الفرزدق على الخلفاء إلا في آخر حياته لأنه يرى أنه نذَّ لهم. وقد توفي بالبصرة سنة عشر ومئة للهجرة.

شعره:

الفرزدق شاعر فحل؛ وعندما سئل عن مجي الشعر له قال: إنما أتاني الشعر من قبل خالي العلاء بن قرظة الضبي، وكان العلاء شاعراً. وشعر الفرزدق قوي يكثر فيه الغريب، وقد تأثر بحياة البداوة وبرز ذلك في شعره من ناحية المعاني والأسلوب، وشعره وإن كانت معانيه تميل إلى مثل العرب في الجاهلية فإنه يشتمل على معان إسلامية كثيرة منها قوله:

وَلَنْ يُقَدَّمَ نَفْسًا قَبْلَ مِيتَتِهَا جَمْعُ الْيَدَيْنِ وَلَا الصَّمَامَةُ الذَّكْرُ^(١)

وقوله:

وَلَسْتُ بِمَأْخُوذٍ بِلُغْوٍ تَقُولُهُ إِذَا لَمْ تَعْمَدْ عَاقِدَاتِ الْعَزَائِمِ

وقد قال الفرزدق الشعر في أغراض مختلفة ولكن أهم أغراض شعره هي: الفخر والمدح والهجاء.

الفخر:

عندما يفتخر الفرزدق فإنه يعتمد على قاعدة قوية من المجد والشرف؛ فجدده صمصعة سيد مطاع في قومه وقد اشترى كثيراً من المؤذات وله عدد كثير من العبيد. وأبوه غالب من زعماء تميم في الإسلام وقد اشتهر بالكرم. والمعاني التي يشتمل عليها فخر الفرزدق هي الشرف وكثرة العدد والطاعة في القبيلة، والكرم، والحلم. وأسلوبه في الفخر أسلوب قوي متين تتخلله الألفاظ الغريبة.

(١) الصمصامة الذكر: السيف القاطع.

وخير ما يمثل فخر الفرزدق قوله:
لنا العِزَّةُ القعساء والعدد الذي
عليه إذا عُدَّ الحصى يَتَخَلَّفُ^(١)
وترى الناس ما سِرْنَا يسيرون خَلَفْنَا
وإن نَحْنُ أَوْمانا إلى الناس وَقَفُوا
وقد علم الجيران أن قُدُورَنَا
ضَوامِنُ للأرزاق والريخ زَفَزَفْ

الممدح:

لم يكن الفرزدق يمدح ليجمع المال لأنه في غنى عن ذلك لشراء أسرته، ولكنه مدح بعض ولاة العراق ليتقرب إليهم إما لحاجات قبيلته وإما للخوف من شرهم، وقد مدح من أولئك الأمراء الحجاج ويزيد بن المهلب، أما خلفاء بني أمية فقد بقي الفرزدق بعيداً عنهم لا يذهب إلى دمشق ولا يمدحهم، إلى أن اضطرته حاجات قبيلته تميم إلى الذهاب للخليفة سليمان بن عبد الملك؛ فمدحه وشرح له الوضع القائم بين قيس وتمر.

ومن أشهر مدائحه قصيدته التي مدح بها زين العابدين على بن الحسين ومنها:
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته
والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم
هذا التقي النقي الطاهر العلم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله
بجدّه أنبياء الله قد ختموا
سهل الخليفة، لا تخشى بوادره
يزينه اثنان: حُسنُ الخلق والشيم^(٢)
ما قال: لا قط إلا في تشهده
لولا التشهد كانت لاءه نَعَمْ

الهجاء:

قال الفرزدق كثيراً من الهجاء في جرير، وشعر النقائض يشتمل على هجاء الفرزدق لجرير. وهجاؤه في معظمه مقرون بالفخر، وهو يُعير جريراً بأن ماله من الحمير، وأن قبيلته كليباً ليس لها شأن، وأنه كلب قيس. ومن هجاء الفرزدق قوله:
قَنَافِدُ دَرَّاجُونَ حَوْلَ حَاشِيَتِهِمْ
لَمَّا كَانَ إِيَّاهُمْ عَطِيَّةً عَوْدًا

(١) القعساء: الثابتة.

(٢) الخليفة: الطبيعة. بوادره: جمع بادرة وهي الحدة.

وللفرزاق هجاء في بني قيس بن عاصم المنقري وغيرهم، ولكن معظم هجائه في جرير، ومما

قاله في بني قيس بن عاصم عندما لجأت إليهم زوجته النوار:

بني عاصم لا تُلجئوها فإنكم ملاجئ للسَّواتِ دُسمُ العَمائم^(١)

(١) دسم العمام: أي عمامكم وسخة قلدة.

قصيدة الفرزدق في وصف الذئب

- ١- وَأَطْلَسَ عَسَالٍ وَمَا كَانَ صَاحِباً دَعَوْتُ بِنَارِي مَوْهِناً فَأَتَانِي
- ٢- فَلَمَّا دَنَا قُلْتُ اذْنُ دُونِكَ إِنِّي وَإِيَّاكَ فِي زَادِي لَمْشْتَرِكَانِ
- ٣- فَبِتَ أَسْوَى الزَادِ بَيْنِي وَبَيْنِهِ عَلَى ضَوْءِ نَارٍ مَرَّةً وَدُخَانِ
- ٤- فَقُلْتُ لَهُ لِمَا تَكْشُرُ ضَاحِكاً وَقَائِمُ سَيْفِي مِنْ يَدِي بِمَكَانِ
- ٥- تَعَشَّ فَإِنْ وَاثَقْتَنِي لَا تَخُونَنِي نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يَا ذَنْبُ يَصْطَحِبَانِ
- ٦- وَأَنْتَ امْرُؤُ يَا ذَنْبُ وَالْغَدْرُ كُنْتُمَا أَخْيَيْنِ كَانَا أَرْضِعَا بِلَبَانِ
- ٧- وَلَوْ غَيْرُنَا نَبَّهْتَ تَلْتَمِسُ الْقَرَى أَتَاكَ بِسَهْمٍ أَوْ شَبَابَةٍ سِنَانِ

مناسبة القصيدة:

كان الفرزدق قد خرج من الكوفة هو وبعض أصحابه، ولما طال بهم المسير أناخوا ركا بهم في منتصف الليل وناموا، وكانوا قد هيؤوا للعشاء شاة وسلخوها وعلقوها على جمل لهم، ولكن النوم غلبهم فاستجابوا له، وبينما هم في نومهم إذ هجم ذئب على تلك الشاة المسلوخة وأخذ ينهشها، فاستيقظ الفرزدق، وأناخ الإبل وقطع رجل الشاة ورمها للذئب، فأخذها الذئب وتنحى جانباً وأكلها ثم عاد، فما كان من الفرزدق إلا أن قطع له يد الشاة فأخذها الذئب وذهب لسييله. وفي الصباح قص الفرزدق على أصحابه ما كان بينه وبين الذئب.

شرح الأبيات:

- (١) أطلس: أغبر عسال: يهتز ويضطرب في سيره. الموهن: نصف الليل.
إن ناري في الليل المظلم ترحب بالجائع، وقد اهتدى بها ذئب أغبر اللون يضطرب في مشيته وفد علي في نصف الليل.

- (٢) ولما اقترب ناديته أن يدنو مني، ولاطفته ليشترك معي في طعامي.
- (٣) فأخذت أقطع له اللحم في تلك الليلة، مهتدياً بضوء ناري، وأحياناً لا يتيح لي الفرصة لمواصلة اشتعال النار فأكتفي بدخان النار.
- (٤-٥) ولما رأيته قد كشف عن أسنانه استعداداً للافتراس والعراك، قلت له تعش فالحكم أمامك فإن أعطيتني موثقاً بعدم الخيانة فإنني وإياك سنصبح صديقين، أقول ذلك وقد وضعت مقبض سيفي في يدي لأنني أعرف أن ضحك الذئب غير ضحكنا.
- (٦) اللبان: الرضاع.
- إنك أيها الذئب أخ للغدر فقد رضعتما من لبان واحد فكيف تفرقان؟
- (٧) القرى: ما يقدم للضيف. السنان: نصل الرمح. وشباته: حد طرفه. لو طرقت غيرنا أيها الذئب تطلب الطعام أذاك سهم منطلق أو حربة سنان حادة.

مناقشة

- ١- تحدث عن الأغراض الجديدة في الشعر في العصر الأموي.
- ٢- اذكر الخصائص التي تميز بها الشعر في هذا العصر.
- ٣- إلى أي القبائل ينتسب كل من جرير والفرزدق؟
- ٤- قيل "جرير يغرف من بحر، والفرزدق ينحت من صخر" ناقش هذا القول.
- ٥- تحدث عن الفخر عند الفرزدق، والغزل عند جرير.

النثر في العصر الأموي

تطور النثر في العصر الأموي وتعددت أغراضه تبعاً لتطور العقلية العربية والإسلامية؛ فالخطب تعددت أنواعها، والرسائل تحولت في بعض صورها إلى مُحاجةٍ تشتمل على الجدل وتعتمد على الإقناع وبسط الكلام.

وبجانب الخطب والرسائل محاضرات الوعاظ التي تطول ويصعب حفظها، فقد كان الحسن البصري وغيره يجلسون للوعظ في المساجد فيتدفق الكلام من أفواههم في أسلوب يخلب الألباب. ونجد من أنواع النثر في هذا العصر المناظرات التي تعقد بين المعتزلة والقدرية والمرجئة والخوارج، ومن أهم أنواع النثر في هذا العصر: الخطب والرسائل.

الخطابة

أنواعها:

(أ) الخطابة الدينية. وهي تشمل خطب الجمعة والعيدين، ومادتها الوعظ والإرشاد وتبيين أمور الدين، وقد تعتمد إلى الترغيب والترهيب. وينهض بها في مركز الخلافة الخليفة، وفي الولايات الولاية، ويوجد خطباء مشهورون بخطبهم الدينية بجانب الخلفاء والولاة، من أولئك عبد الله بن عمرو بن العاص، وسعيد بن المسيب، ومالك بن دينار، وإياس بن معاوية قاضي البصرة، والحسن البصري.

(ب) الخطب السياسية. وهدفها إقناع المسلمين برأي سياسي يستحسن الناس به الحكم القائم، أو يقوم على أساسه حكم جديد؛ فبنو أمية يثبتون حكمهم عن طريق الخطب السياسية، والشيعية يسعون لإقناع المسلمين بأرائهم تمهيداً لقيام حكمهم، والخوارج يخطبون في الناس ليقیموا حكماً يختلف عن حكم الأمويين والشيعية، والزبيريون أقاموا حكماً مبنياً على آرائهم. وهم يسعون إلى تثبيته عن طريق الخطب.

ومن أشهر خطباء السياسة: معاوية، والحسين بن علي، وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم، وعبد الملك بن مروان، وزيايد بن أبيه، والحجاج، وقطري بن الفجاءة، وعمران بن حطان.

(ج) **خطابة الوفود.** ويقصد بها الوفود التي تفد على الخليفة إما لتهنئة أو تعزية أو تأييد رأي سياسي، ومن أشهر خطباء الوفود: سحبان خطيب وائل، والأحنف بن قيس خطيب تميم.

(د) **خطابة الحرب.** وهي خطب القواد في جيوشهم وتهدف هذه الخطابة إلى تحميس الجند للقتال، ومن القواد الذين اشتهروا بخطبهم قتيبة بن مسلم الباهلي، وطارق بن زياد.

أسباب الخطابة:

- ١- وجود الاتجاهات السياسية التي يمثلها الأمويون وهم الخلفاء، والزبيريون، والشيعية، والخواارج.
- ٢- وجود الفرق الدينية من جبرية، ومرجئة، وقدرية، ومعتزلة.
- ٣- قيام الفتن مثل فتنة عمرو بن سعيد بن العاص على عبد الملك بن مروان، وفتنة ابن الأشعث على الحجاج، وفتنة قتيبة بن مسلم على سليمان بن عبد الملك.

أسلوب الخطابة:

أسلوب الخطابة متنوع، فأسلوب الخطابة الدينية أسلوب واضح بعيد عن الكلمات الغريبة ولكنه لا يصل إلى حد الابتذال.

وأسلوب الخطب السياسية أقوى؛ حيث يشتمل على بعض الكلمات الغريبة.

وأسلوب خطب الوفود منه ما هو مختصر مثل خطب الأحنف بن قيس، ومنه ما هو مبسوط ومطول مثل أسلوب سحبان وائل.

وأما خطب الحرب فأسلوبها حماسي.

الرسائل

كثرت الرسائل في العصر الأموي؛ لتفرق العرب في الأمصار، ولتعدد ولايات الدولة، ولكثرة الاتجاهات السياسية والفرق الدينية، والرسالة لابد منها للاتصال بين الخليفة وولاته، أو بين أصحاب الفرق الدينية والسياسية.

أنواع الرسائل:

(أ) الرسائل السياسية: وهي التي تكون بين الخليفة وولاته أو بين الوالي وزعيم اتجاه سياسي، ومنها رسائل أهل العراق إلى الحسين بن علي، ورسائل الحجاج إلى الخوارج. ومعاني هذه الرسائل لا تلتزم الترتيب الدقيق، وأما أسلوبها فهو قوي وخصوصاً رسائل الحجاج وقطري بن الفجاءة.

(ب) الرسائل الوعظية: وهي التي ترسل من أجل الوعظ وترقيق القلوب، وهذه الرسائل تشتمل على الوعظ والإرشاد والترغيب والترهيب، وهي رسائل طويلة وأسلوبها سهل ليس فيه غريب ولا غموض.

(ج) الرسائل الشخصية: وتشتمل على التهنة والتعزية، والعتاب والاعتذار، والشفاعة، وأسلوبها سهل وخال من التكلف في الغالب.

(د) الرسائل الديوانية: تشمل رسائل الدولة الرسمية، ولا يكتب في الديوان إلا من عرف بإجادته للكتابة وكان قادراً على انتقاء الألفاظ وحسن أداء المعاني التي يطلب منه إيداعها في الرسالة.

أطوار الرسائل:

- الرسائل بأنواعها السياسية والوعظية والشخصية والديوانية مرت بمراحل ثلاث:
- ١- ففي أول العصر كان الخليفة يملئ على الكاتب فتكون الرسالة من إنشاء الخليفة أو الوالي وأسلوبها في هذه المرحلة قوي متين، ويشتمل علي الألفاظ الغريبة، ولا تخلو من السجع، ومن كتّاب الرسائل في هذه المرحلة: معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وعبد الملك بن مروان، والحجاج، وقطري بن الفجاءة، ومن كتّاب الرسائل الذين يُملئ عليهم أو ينشئونها أحياناً: عمرو بن سعيد الملقب بالأشدق وكان يكتب لمعاوية، وروح بن زنباع الجذامي لعبد الملك، ويحيى بن يعمر ليزيد بن المهلب، ثم استقدمه الحجاج.
 - ٢- وفي وسط العصر الأموي وبعد أن حوّلت الدواوين إلى العربية ومنها ديوان الرسائل أصبح للرسائل كتّاب متفرغون يختارون اختياراً. فالمعاني تملئ عليهم ثم يصوغونها بأساليبهم. وهؤلاء الكتّاب يعنون بانتقاء الألفاظ وتنسيق التراكيب.
 - وقد برزت الرسالة الوعظية في هذه المرحلة بأسلوبها السهل ومعانيها المشتملة علي الوعظ والإرشاد. أما الرسائل السياسية فقد أصبحت جزءاً من الرسائل الديوانية. ولم يتغير أسلوب الرسائل الشخصية تغيراً كبيراً.
 - ٣- وفي آخر العصر الأموي برزت الكتابة الفنية في رسائل سالم مولى هشام بن عبد الملك وابنه عبد الله وعبد الحميد الكاتب، وهذه الرسائل تتميز بطولها فهي تبلغ أربعين صفحة وأحياناً أكثر، وأسلوب رسائل هذه المرحلة أسلوب سهل يتخلله السجع، وتُصدر الرسالة بالتحميد وتشتمل على عدة أغراض لطولها. وقد تأثر أسلوبها بأسلوب الوعّاظ كالحسن البصري، وواصل بن عطاء حيث نجد الكلمات المترادفة. ولا نجد في ألفاظ الرسائل كلمات غريبة وإنما هي مختارة ومنتقاه، ومعاني الرسائل في هذه المرحلة مرتبة وواضحة وبعيدة عن الغموض.

نماذج من النثر الأموي

خطبة معاوية رضي الله عنه عندما أحسَّ بقرب وفاته:

"أيها الناس، إنا قد أصبحنا في دهر عُنُود^(١) وزمن شديد، يُعَدُّ فيه المحسن مسيئاً، ويزداد فيه الظالم عُتُوًّا، لا ننتفع بما علمنا، ولا نسأل عما جهلنا، ولا نَتَخَوَّفُ قَارِعَةً^(٢) حتى تَجِلَّ بنا. فلتكن الدنيا في أعينكم أصغر من حُثَالَةِ الْقَرْظِ، وَقُرَاضَةِ الْجَلَمِينَ^(٣)، وَاتَّعَظُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، قَبْلَ أَنْ يَتَّعِظَ بِكُمْ مَنْ يَأْتِي بَعْدَكُمْ، فَارْفُضُوهَا ذَمِيمَةً^(٤)، فَإِنَّمَا قَدْ رَفَضَتْ مِنْ كَانَ أَشْغَفَ بِهَا مِنْكُمْ".

خطبة الحسين رضي الله عنه في السنة التي قتل فيها:

"إنه قد نزل من الأمر ما قد ترون، وإن الدنيا قد تغيرت وتنكرت، وأدبر معروفها واستمرت جداً، فلم يبق منها إِلَّا صُبَابَةٌ^(٥) كَصَابَةِ الْإِنَاءِ، وَخَسِيسَ عَيْشٍ كَالْمَرْعَى الْوَبِيلِ^(٦)، أَلَا ترون أن الحق لا يعمل به، وأن الباطل لا يتناهى عنه! لِيَرْغَبَ الْمُؤْمِنُ فِي لِقَاءِ اللَّهِ مُحِقًّا، فَلِيَنِي لَا أرى الموت إلا شهادة، ولا الحياة مع الظالمين إِلَّا بَرَمًا^(٧)".

خطبة عبد الله بن الزبير رضي الله عنه عندما علم بمقتل أخيه مصعب في العراق:

"الحمد لله الذي يُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ، إِنَّهُ لَنْ يَذِلَّ مَنْ كَانَ الْحَقُّ مَعَهُ وَإِنْ كَانَ فَرْدًا، وَلَنْ يُعِزَّ مَنْ كَانَ أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ حَزْبَهُ وَإِنْ كَانَ مَعَهُ الْأَنَامُ. أَتَانَا خَيْرٌ مِنْ قَبْلِ الْعِرَاقِ أَجْزَعْنَا وَأَفْرَحْنَا: قَتَلَ مَصْعَبَ رَحِمَهُ اللَّهُ، فَأَمَّا الَّذِي أَحْزَنَنَا مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّ لِفِرَاقِ الْحَمِيمِ لَذَعَةً يَجِدُهَا حَمِيمُهُ

(١) عنود: جائر.

(٢) القارعة: الخطب الذي يقرع أي يصيب.

(٣) القرظ: شجر وحثالته ما يتساقط من ورقهن وقراضة الجلمين: ما يتساقط من الصوف وغيره عند ما يقص.

(٤) يعني الدنيا. والخطبة في البيان والتبيين ٥٨/٢ وعيون الأخبار ٢٣٧/٢.

(٥) الصبابة: البقية القليلة.

(٦) المرعى الوبيل: الوحيم.

(٧) برم: ضجر. والخطبة في تاريخ الطبري ٥/٤٠٣.

عند المصيبة به، ثم يرعوي بعدها ذوو الرأي إلى جميل الصبر وكريم العزاء. وأما الذي أفرحنا من ذلك فعلمنا أن قتله شهادة، وأن ذلك لنا وله الخير. ... ألا إنما الدنيا عارية من الملك الأعلى الذي لا يبيد ذكره ولا يذلُّ سلطانه فإن تُقبِلْ عليَّ لا آخذها أخذ البطر الأشير، وإن تدبر عني لا أبك عليها بكاء الخرف المهتر^(١)."

تأبين فرعانة بنت أوس بن حجر للأحنف بن قيس^(٢):

"إنا لله وإنا إليه راجعون، رحمك الله أبا بحر من مِجَن في جَن^(٣) ومُدْرَج في كفن، فوالذي ابتلانا بفقدك، وأبلغنا يوم موتك، لقد عشتَ حميداً، ومُتَّ فقيداً، ولقد كنت عظيم الحلم، فاضل السَّلم، رفيع العماد، واري الزناد، منيع الحريم، سليم الأديم، وإن كنت في المحافل لشريفاً، وعلى الأرامل لعطوفاً، ومن الناس لقريباً، وفيهم لغريباً، وإن كنت لَمُسَوِّداً، وإلى الخلفاء لَمَوْفِداً، وإن كانوا لقولك لمستمعين، ولرأيك لمتبعين."

(١) الخرف: من ذهب عقله بسبب الكبر. والمهتر: من ذهب عقله بسبب المرض أو الحزن. والخطبة في عيون الأخبار ٢/٢٤٠؛ وتاريخ الطبري ١٦٦/٦.

(٢) التأبين: رثاء الميت والثناء عليه، وتعدد محاسنه. وفرعانة امرأة من بني تميم، والأحنف توفي سنة ٦٧هـ.

(٣) الجنن: القبر لأنه يجن الموتى أي يخفيهم عن الأنظار.

دراسة أدبية لرسالة عبد الحميد الكاتب إلى الكُتَّاب

النص:

"أما بعد، حفظكم الله يا أهل صناعة الكتابة، وحاطكم ووفقكم وأرشدكم! فجعلكم معشر الكُتَّاب - في أشرف الجهات - أهل الأدب، والمروءة والعلم والرواية. فتنافسوا يا معشر الكُتَّاب في صنوف الآداب، وتفقهوا في الدين، وابدؤوا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض ثم العربية فإنها ثقاف^(١) أَلَسْتُمْ، ثم أجيدوا الخط فإنه حليّة كُتِبْكُمْ، وارووا الأشعار، واعرفوا غريبها ومعانيها، وأيام العرب والعجم، وأحاديثها وسيرها فإن ذلك مُعينٌ لكم على ما تسمو إليه هممكم، ولا تُضَيِّعُوا النظرَ في الحساب، فإنه قِوَامُ كُتَّابِ الخراج^(٢). وارغبوا بأنفسكم عن المطامع سَنِيهَا وَدَنِيَّهَا، وَسَفَسَافِ الْأُمُورِ وَمَحَاقِرِهَا، فَإِنَّمَا مَذَلَّةٌ لِلرَّقَابِ مَفْسَدَةٌ لِلْكِتَابِ، ونزهوا صناعتكم عن الدناءات، واربؤوا بأنفسكم^(٣) عن السعاية والنميمة وما فيه أهل الجهالات، وإياكم والكبر والصلف^(٤) والعظمة فإنها عداوة مجتلبّة من غير إحنة^(٥)، وتحابُّوا في الله عز وجل في صناعتكم، وتواصوا عليها بالذي هو أليقُّ بأهل الفضل والعدل والتُّبَلِّ من سلفكم. تولانا الله وإياكم يا معشر الطلبة والكتبة بما يتولى به مَنْ سبقَ علمه بإسعاده وإرشاده، فإن ذلك إليه وبيده، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته^(٦).

(١) ثقاف: مقوم.

(٢) قوام الشيء: عماده. الخراج: الجزية وما يُصَالَحُ عليه أهل البلاد المفتوحة.

(٣) اربؤوا بأنفسكم: ارتفعوا بأنفسكم.

(٤) الصلف: التناول.

(٥) الإحنة: الحقد.

(٦) من أراد أن يطلع على النص كاملاً فليرجع إلى الجزء الأول من صبح الأعشى.

صاحب النص:

هو عبد الحميد بن يحيى بن سعد العامري بالولاء، من أشهر الكتّاب في آخر العصر الأموي، فقد طور الرسائل بكثرة التحميدات في صدر الرسالة، وبالتوسع في المعاني، والعناية بترتيبها ووضوحها. اشتغل في دواوين الخلفاء حتى أصبح المقدم عند مروان بن محمد، ولما قوي أمر العباسيين هرب مع مروان إلى مصر حيث قتل في بوسير سنة ١٣٢هـ.

تقسيم النص:

(أ) مقدمة: تبدأ بـ (أما بعد) وتنتهي بـ (والرواية) وتشتمل على الدعوة بالتوفيق للكتّاب وبيان منزلتهم.

(ب) عُدّة الكتّاب: وهي إرشادات ونصائح وتعاليم للكتّاب، وهي لب الرسالة وصميمها وتبدأ بقوله: (فتنافسوا يا معشر الكتّاب) وتنتهي بـ (والنبيل من سلفكم).

(ج) خاتمة: تبدأ بقوله (تولانا الله) وتنتهي بـ (والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته) وهي دعاء للكتّاب برعاية الله لهم. ثم سلام يشعر بانتهاء الرسالة.

الأفكار:

لم يعرف الكتّاب رسالة نهجت نهج رسالة عبد الحميد في أفكارها بحيث وجهها إلى فئة من الناس هم الكتّاب، وعلى هذا فإن الفكرة جديدة، وإن كانت النصائح الموجودة تصلح للكتّاب وغيرهم إلا ما قل من تلك الإرشادات.

والأفكار تشتمل على صدق صاحبها وإخلاصه فيما يقول، والدليل على ذلك أن هذه الأفكار عندما تطبق على الواقع تكون حقائق ملموسة، فأفكار عبد الحميد إذن أفكار متطورة تسابق الزمن الذي قيلت فيه، فالكتّاب تسابقوا إلى حفظها، بل إنها أثرت في كثير من الناس فأخذوا يكتبونها ويتدارسونها. وأما تنظيم الأفكار وترتيبها فهو أمر ملموس؛ فالرسالة تتكون من ثلاثة أجزاء:

١ - مقدمة. ٢ - عرض. ٣ - خاتمة.

والعرض وهو لب الرسالة تدرجت فيه الأفكار تدرجاً ينقل الفائدة إلى القارئ والمستمع

بسهولة، فالكاتب أمر الكتاب بالفقه في الدين والنظر في كتاب الله ثم إتقان اللغة العربية، وانتقل بعد ذلك إلى إجادة الخط، وبعد ذلك أمرهم بالاطلاع على التاريخ والأيام والاستفادة من الشعر، ولفت الكتاب إلى تعلم الحساب. وهذا القسم هو الفكرة الرئيسة التي تُعدُّ الكاتب للكتابة، ثم خصص القسم الثاني من العرض للنصائح حيث أرشد الكتاب إلى التحلي بالصفات السامية والابتعاد عن الصفات الدنيئة.

ومن خلال هذا العرض لأفكار الكاتب يتضح لنا أنها أفكار تشملها وحدة تامة تربط جميع أجزائها في إطار واحد، وهي بعد ذلك أفكار واضحة بعيدة عن اللبس والغموض.

الأسلوب:

أسلوب عبد الحميد في رسالته أسلوب متطور حسن الصياغة؛ فألفاظه خالية من الغريب. وتراكيب الرسالة متماسكة الألفاظ متألّفة فيما بينها، ليس فيها تعقيد يمنع من فهم المعنى، ويظهر في أسلوب الكاتب الترادف، فهو يجمع عدداً من الكلمات لمعان مقاربة مثل: (وحاطكم ووفقكم وأرشدكم) وقوله: (أهل الأدب والمروءة والعلم) والترادف ناتج عن تطويل الرسائل، فالترادف في الأسلوب وتفتيق المعاني في الأفكار يرجعان إلى طول الرسالة.

وظاهرة أخرى في أسلوب هذه الرسالة وهي كثرة استخدام حروف العطف، وهذا الأمر وإن لم يكن مستحسنًا إلا أن حاجة الأفكار إلى هذه الحروف جعلتها مقبولة. وقد استخدم الكاتب السجع كقوله: (فتنافسوا يا معشر الكتاب في صنوف الآداب) وقوله: (فإنها مذلة للرقاب مفسدة للكتاب) ولكن الكاتب لم يكثر منه فجاء مناسباً وخفيفاً على السمع، ومما نلاحظه في الأسلوب تنويع العبارة ما بين دعاء وأمر وتحذير.

وقد أحسن الكاتب عرض أسلوبه فبدأ المقدمة بـ (أما بعد) وضمنها الدعاء، وعندما انتقل إلى العرض غير أسلوبه من الدعاء إلى الأمر حيث بدأ بقوله (فتنافسوا) ثم عاد إلى الدعاء في الخاتمة حيث قال: (تولانا الله وإياكم) وكما أنه أحسن الابتداء فقد وفق ختم رسالته حيث ختمها بالدعاء والسلام.

مناقشة

- ١ - ما أنواع الخطابة في العصر الأموي؟ وما أهم أسبابها؟
- ٢ - أسلوب الخطابة في العصر الأموي يختلف بحسب نوع الخطبة.
اشرح هذه العبارة.
- ٣ - ما أنواع الرسائل في العصر الأموي؟ وما المراحل التي مرت بها؟
- ٤ - متى ظهرت الكتابة الفنية في العصر الأموي؟ ومن هم روادها؟

المحتوى

الصفحة	الموضوع
٥	مقدمة
٧	الفصل الدراسي الأول
٩	توزيع المقرر للفصل الدراسي الأول
١١	تعريف الأدب
١٢	أقسام الأدب
١٢	(أ) فن الشعر:
١٢	الشعر القصصي
١٣	الشعر التمثيلي
١٣	الشعر الغنائي أو الوجداني
١٤	(ب) فن النثر:
١٤	أنواع النثر
١٧	الغرض من دراسة الأدب
١٨	العصور الأدبية
٢٠	العصر الجاهلي
٢٠	(أ) الحياة الاجتماعية
٢١	(ب) الحياة السياسية
٢٢	(ج) الحياة العقلية
٢٤	أيام العرب وأثرها في الأدب
٢٤	يوم ذي قار
٢٥	يوم خزازي
٢٧	الشعر الجاهلي

الموضوع	الصفحة
نشأة الشعر الجاهلي وروايته	٢٧
أغراض الشعر الجاهلي	٢٨
المدح	٢٨
الهجاء	٢٩
الثناء	٢٩
الفخر والحماسة	٣٠
الغزل	٣٠
الوصف	٣٠
الاعتذار	٣١
الحكمة	٣٢
خصائص الشعر الجاهلي	٣٣
(أ) خصائص المعاني	٣٣
(ب) خصائص الألفاظ	٣٤
المعلقات	٣٥
نماذج من الشعر الجاهلي	٣٩
امرؤ القيس (حياته وشعره)	٤٢
النابغة الذبياني (حياته وشعره)	٤٩
زهير بن أبي سلمى (حياته وشعره)	٥٨
النثر الجاهلي	٦٥
الخطابة	٦٥
نماذج من الخطابة	٦٧
الأمثال	٦٩

الصفحة	الموضوع
٧٣	الفصل الدراسي الثاني
٧٥	توزيع المقرر للفصل الدراسي الثاني
٧٧	الأدب في عصر صدر الإسلام
٧٧	أثر الإسلام في اللغة والأدب
٧٨	أثر القرآن في اللغة والأدب
٧٩	أثر الحديث في اللغة والأدب
٨٠	الشعر في عصر صدر الإسلام
٨٠	موقف الإسلام من الشعر
٨١	أغراض الشعر في عصر صدر الإسلام
٨١	المدح
٨٢	الهجاء
٨٣	الحماسة
٨٣	الثناء
٨٥	شعر الدعوة والفتوح الإسلامية
٨٨	خصائص الشعر في صدر الإسلام
٨٨	(أ) خصائص المعاني
٨٩	(ب) خصائص الأسلوب
٩١	نماذج من الشعر في عصر صدر الإسلام
٩٧	حسان بن ثابت (حياته وشعره)
٩٨	شعره في الجاهلية
١٠٠	شعره في الإسلام
١٠٥	كعب بن زهير (حياته وشعره)
١١٣	النثر في عصر صدر الإسلام
١١٣	الخطابة
١١٤	نماذج من الخطابة

الصفحة	الموضوع
١١٧	الرسائل
١١٧	نماذج من الرسائل
١٢١	الأدب في العصر الأموي
١٢١	الشعر
١٢١	أغراضه
١٢٢	الشعر السياسي
١٢٣	المدح
١٢٤	الهجاء
١٢٤	النقائض
١٢٦	شعر الفتوح والدعوة الإسلامية
١٢٩	خصائص الشعر في العصر الأموي
١٣٠	نماذج من الشعر الأموي
١٣٤	جرير (حياته وشعره)
١٤١	الفرزدق (حياته وشعره)
١٤٨	النثر في العصر الأموي
١٤٨	الخطابة
١٥٠	الرسائل
١٥٢	نماذج من النثر الأموي
١٥٤	دراسة أدبية لرسالة عبد الحميد الكاتب إلى الكتاب
١٥٨	المحتوى